«الإسلام دنيا وأخْرى»
والتَّوازن الـمفقود . . . كيف نستَردُّه ؟

● **الغاية من الخطبة** : التحذير من الاستغراق في الدنيا ونسيان الآخرة .

● **العناصر الأساسية** :

(١) الخطأ الكبير : نسيانُ الآخرةِ والاسْتغراق في العمل للدنيا .

(٢) الإسلام يدعونا إلى الاهتمام بالدنيا والآخرة معاً .

(٣) كثير منا عمله للآخرة ناقص وسيئ! وواجبنا إكمالُه وإتقانه بقدر طاقتنا .

(٤) والعلم الصحيح شرط للعمل السديد ، فلا بد للمسلم أن يعرف دينه .

(٥) واسترداد التوازن المفقود مشروط بقوة إرادة الإيمان .

(٦) العمل للدنيا والاستمتاع بها جائز أو مندوب أو واجب ، والزهد المندوب زهد في الحرام فقط .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- يقولُ الحقُّ تبارك وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (الحشر:١٨،١٩). في هاتيْن الآيتيْن الكريمتيْن يأمرُنا ربُّنا ﷻ بأن نحرصَ على العملِ للآخرةِ ، وبأنْ نتقي اللهَ في عملِنا حتى لا نُغضبَه تعالى فيُصيبُنا عذابُه ، وينَهانا عن أن نكون مثلَ الفاسقين الذين نَسوا اللهَ ، أي نَسوا الواجباتِ والأعمالَ الصالحاتِ التي أمرَهم بها ، واسْتغرَقتْهم الدنيا بلهوِها وزينتِها وشهواتِها ، فنَسوا أنهم عبادُ اللهِ ، وأنهم مأمورون

بطاعتِه ، فكان جزاؤهم الخُسرانُ في الدنيا والآخرة . فأنت أيها المسلمُ مُطالَبٌ بأن تسألَ نفسَكَ كلَّ يومٍ : ماذا قدَّمتَ لآخرتِكَ؟ وهلْ قصَّرْتَ في واجباتِكَ؟ وهل أخطأتَ في مُعاملاتِكَ؟ هل اكتسَبْتَ مالاً حراماً ؟ هل نافقتَ أحداً من أهلِ الدنيا؟ هل كذبتَ أو شهدتَ شهادةَ زورٍ؟ هل ضيَّعتَ يَومَكَ في اللهو والعَبثِ والخُمولِ ، أم أنفقتَ وقتَكَ في الطاعاتِ وعملَ الصالحاتِ ؟

– هذه هي النظرةُ إلى الغَدِ التي يأمرُنا بها كتابُ اللهِ ، وذلك هو النَّهيُ الذي يَنهانا به ، وبذلك يُخرجُنا من حالِ الغَفلةِ ونسيانِ اللهِ الذي يُؤدي إلى نِسيانِ النفسِ أو إلى الفِسْقِ ، والعياذُ باللهِ . وكانَ ذلك هو منهجُ حياةِ المشركين ، الذين قالَ فيهم القرآنُ الكريمُ ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ (الإنسان:٢٧) يعني هم الذين اسْتغرقَهم حُبُّ الدنيا حتى نَسوا الآخرةَ ونَسوا يومَ الحسابِ العظيمِ . وهذا الخطأُ الكبيرُ الجَسيمُ لا يليقُ بمسلمٍ عاقلٍ أن يتورَّطَ فيه بعدَ ما جاءَه الهُدى والكتابُ المنيرُ – كتابُ اللهِ تعالى ، القرآنُ الكريمُ .

٢– والإسلامُ يحثُّنا نحن المسلمين على الجَمعِ بين الدنيا والآخرةِ ، لأنَّ الدنيا مَعبرٌ إلى الآخرةِ . يقولُ اللهُ تعالى ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ (البقرة:٢٠٠) فهؤلاءِ هم أهلُ الدنيا الذين نَسوا الآخرةَ ، فلنْ يكونَ لهم فيها نصيبٌ من الخيرِ . أما المسلمون المؤمنون فتقول عنهم الآيةُ التاليةُ ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (البقرة:٢٠١،٢٠٢) وهكذا يُفلِحُ المسلمون في الفَوزِ بمَرضاةِ اللهِ تعالى والجنةِ . وفي الوقتِ نفسِه لا يُضيِّعون الدنيا ، لأنَّ تَرْكَ الدنيا تَرْكاً تاماً كما يفعلُ بعض الزُّهادِ الهنودِ وغَيرُهم ، يُؤدي إلى العَجزِ عن العملِ للآخرةِ . فجَسَدُ الإنسانِ هو أداةُ الصلاةِ ، والحجِّ ، والعنايةُ به ، بالغذاءِ ، والنظافةِ ، والدواءِ ، ضروريةٌ لأداءِ العباداتِ . وأداءُ الزكاةِ والحَج والتبرعاتِ والنفقاتِ ، يحتاجُ إلى العملِ والكسبِ . وهكذا تكونُ الدنيا قَنطرةً إلى الآخرةِ ، ويتحققُ التوازنُ المفقودُ بينهما .

٣- والمُلاحَظُ أن كثيرين منا فقدوا التوازنَ الذي يَطلُبه الإسلامُ بالجمع بين الدنيا والآخرةِ . فعملُهم للآخرةِ ناقصٌ وسيئٌ . فهم لا يُؤدون الصلاةَ أداءً كاملاً . والبعضُ لا يُصلي إلا في شهرِ رمضانَ المُبارك! والبعضُ لا يُصلي إلا الجُمعة ! وكثيرون يَتركون سُننِ الصلاةِ تَرْكاً دائماً . والقولُ في الصيامِ كالقولِ في الصلاةِ . فكثيرون صيامُهم مُجرَّدُ امتناعٍ عن الطعامِ والشرابِ والجماعِ . والتقصيرُ في الحجِّ كثيرٌ جداً . أما سُوءُ العملِ فتراه في الصلاةِ في السُّرعَةِ الخارقةِ في الركوعِ والسجودِ والقيامِ والجلوسِ ، فلا طُمَأنينةَ ولا خشوعَ ولا وَعْيَ . وفي الحَجِّ نرى المسلمين يقعون في أخطاءٍ جسيمةٍ ، مثل التدخينِ في أثناءِ الإحرامِ ، وإلحاق الأذى بالحُجاجِ بَدلاً من مساعدتِهم . فعليك أيها المسلمُ أن تُراجعَ أعمالَك كلَّها وتَتجنَّبَ كلَّ نَقصٍ وكلَّ عَيبٍ ، ليكون عملُك كاملاً وحَسَناً وصحيحاً بقَدْرِ استْطاعتِك . واللهُ تعالى يقولُ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ (التغابن:١٦).

٤- ولكي يكون عَمَلُك كاملاً وحَسناً وصحيحاً لا بُدَّ لك من العِلمِ بقَدْرِ يُيَسَّرُ لك ذلك . والعِلمُ بالإسلامِ مُتاحٌ الآنَ لكلِّ مُسلمٍ ، في المدارسِ والإعلامِ ، والكتبِ والمساجدِ . لكنَّ الناسَ في مُعظمِهِم عَازفونَ عن العِلمِ ، إلا مَن رَحِمَ اللهُ . وبسببِ نقصِ العِلمِ بالدينِ تُرْتَكَبُ أخطاءٌ جسيمةٌ دون أن يَشعُرَ بها مُرتكبوها! من ذلك على سبيلِ المثالِ الحَلْفُ بالطلاقِ وما يُؤدي إليه من تحريمِ الزوجاتِ! والغِشُّ التجاريُّ الذي يُؤدي إلى أكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ . والنفاقُ الذي أفسَدَ حياتَنا الاجتماعية وقذفَ بنا في وديانِ الأكاذيبِ ! والمنافقون ربما لا يعرفون الجريمةَ الكبرى التي يقترفونها . وربما لو كانوا يعلمون لارْتَدَعوا عنها .

٥- واستردادُ التوازنِ المفقودِ يحتاجُ إلى الإيمانِ القويِّ الذي يَكبَحُ جِماحَ الشهواتِ والغَرائزِ . فالإنسانُ فيه مَيْلٌ إلى الدنيا وإيثارٌ لها . فيقولُ اللهُ تعالى في ذلك ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (الأعلى:١٦،١٧) والإنسانُ المؤمنُ يَعلمُ أن إيثارَ الدنيا على الآخرةِ خَطأٌ ، وهو يُؤدِّي إلى الاستغراقِ في العملِ للدنيا والتلذُّذ بشهواتِها ، دونَ مُراعاةٍ للحلالِ والحرامِ ، ولإهمالِ العملِ للآخرةِ كُلِّيَّةً ، أو أداءِ العباداتِ ناقصةً ، أو التعوُّدِ على الأداءِ السيِّئِ الذي يُفسِدُها .

- إنَّ اللهَ تعالى لم يُحرِّمْ على المسلمين التَمتُّع بطيباتِ الدنيا وزينَتِها . وهو ﷻ القائلُ ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾(الأعراف:٣٢) وهو ﷻ القائل ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (المائدة:٥) ولذلك رفضَ الإسلامُ الزُهْـدَ البوذِيَّ الذي يُحرِّمُ الطيباتِ . لكنَّ المؤمنَ القويَّ الإيمانِ يأخذُ نصيبَه الحلالَ من هذه الطيباتِ ، ويَقِفُ عِند حُدودِه ، لا يَتعدَّاها ، ولَا يسمحُ للدنيا بأن تَصْرِفَه عن العملِ للآخرةِ ، بلْ هو يُسخِّرُ خيراتِ الدنيا من أجلِ الآخرةِ ، فيُنفقُ مالَه وجُهدَه ، ويُسخِّرُ إمْكاناتِه في سبيلِ الآخرةِ .

٦- والعملُ للأغراضِ الدُنيويَّـةِ يكونُ أحياناً واجباً ، وأحياناً مَندوباً ، وأحياناً جَائزاً . وكذلك حُكمُ التمتعِ بطيباتِ الدنيا الحلال . واللهُ تعالى يقولُ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (الملك:١٥) فواجبُ المسلمِ أن يعملَ ويُنتِجَ ليوفِّرَ الأرزاقَ لنفسِه ولغيره ، وبذلك يَعْمُرُ الكَونُ ، وتَثْرَى الأمةُ المسلمةُ ولا تحتاجُ إلى غيرها من الأممِ . ويَتفاوَتُ حُكمُ العملِ الدنيَويِّ من الوجوبِ إلى الندبِ إلى الإباحةِ ، لأنَّ حاجةَ الأمةِ إليه تتفاوَتُ بين ضَروراتٍ وحَاجياتٍ وتحسيناتٍ وكمالياتٍ . وكذلك حاجاتُ الأفرادِ . فالحاجةُ إلى السلاحِ الحربيِّ ماسَّةٌ خصوصاً في أيامِ الحروبِ وفي وجودِ الأعداءِ الذين يُهدِّدون الأمةَ ، لذلك كانت صناعةُ السلاحِ واجبةً ، وذلك بنَصِّ القرآنِ الكريمِ الذي يقولُ ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (الأنفال:٦٠) وكذلكَ الحَاجةُ إلى الموادِّ الغذائيةِ الأساسيةِ ، في حينِ تُعتَبَرُ العطورُ كمالياتٍ ، يجوزُ صُنعُها ويجوزُ عدمُ صنعِها .

● أيها المسلمون ، راجعوا أنفسَكم ، لتتأكدوا أنكم لا تؤثرون الدنيا على الآخرةِ ، وأنكم تعملون للدنيا وتتمتعون بطيباتِها ، ولكنْ دون أن تُلهيكم عن الآخرةِ ، أو تجرُّكم إلى الآثامِ والمعاصِي . وتذكَّروا دائماً ما تقدِّموه للغَدِ ، وحاسِبوا أنفسَكم على ذلك ، واللهُ يوفقُنا جميعًا إلى طاعتِه ، آمين .

(الدعاء)

الكِبرُ والتواضع

● **الغاية من الخطبة** : حث المسلمين على التحلي بفضيلة التواضع ، ونبذ الكبر ، وتعريف المصلين بحقيقة الكبر والتواضع نظراً وعملاً .

● **العناصر الأساسية** :

(١) تعريف الكبر بحسب السُّنة النبوية الشريفة .

(٢) وَصفُ سلوك المتكبرين في القرآن الكريم .

(٣) أمثلة قرآنية .

(٤) النهي عن الكبر .

(٥) الوعيد الشديد للمتكبرين .

(٦) الإسلام علَّم المسلمين التواضع بقبول الحقائق بصرف النظر عن مصدرها .

(٧) العزة ليست كبراً .

(٨) تواضع النبي ﷺ .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- يجْدرُ بنا أن نعرفَ معنى الكِبْـرِ والتواضُعِ قَبْـلَ الحديثِ عنهما . وقد عَرَّفَ الرسولُ ﷺ الكِبْرَ فقالَ : «الكِبْرُ سَفَهُ الحقِّ وغَمْطُ الناسِ». وفي رواية أخرى : «الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ الناسِ» . والمعنى واحدٌ في الروايتَيْن . فإنَّ سَفَهَ الحقِّ وبَطَرَهُ شيءٌ واحدٌ . وسَفَـهُ الحقِّ يعني تكذيبَ الحقِّ ، أو إنكارَ الحقائقِ وردَّها ورَفضِ الاعترافِ بها ، لأنَّ قائلَـها أو الدَّاعي لها إنسانٌ يرى المتكبِّرُ أنه أقلُّ منه مَكانةً وعِلماً . وتلك خَصْلَـةٌ قبيحةٌ جداً في حُكمِ الإسلامِ ، والمسلمُ مُطالَـبٌ بقبولِ الحقائقِ والترحيبِ بها واعتناقِها والدفاعِ عنـها بصَـرفِ النظـرِ عـن مَكانـةِ قائلِـها أو جنْسِهِ ودينِه .

- وغَمطُ الناسِ معناه بَخْسُهم أقدارَهم ، وسوءُ تقديرِهم . فالمتكبرُ يلْجأُ إلى هذا المَسْلَكِ الممقوتِ لكي يَرْفَعَ مِن قَدْرِ نَفسِه ، ويَحطَّ مِن أقْدارَ الآخرين . وهذه الخَصْلَةُ الذَّميمَـةُ قريبةٌ مِن الخَصلةِ الأولى - أي سَفَهُ الحقِّ ، لأنَّ أقْدارَ الآخرين حقائقُ تشهدُ بصحَّتِها أعمالُـهم وإنجازاتُـهم وأفضالُـهم ، واعترافُ الناسِ بهم .

- ونستطيعُ أن نفهمَ من هذا الحديثِ الشريفِ معنى التواضعِ في الإسلامِ ، فهو : قبولُ الحقِّ وتأييدُه ، والدفاعُ عنه ، بصَرْفِ النظرِ عن مَصْدَرِه ، وعن مَكانةِ قائلِه وجنسِه ودينِه ، وعلاقتِنا به . وهو أيضاً : تقديرٌ موضوعيٌّ سديدٌ للآخرين وللذاتِ . فالمسلمُ يحرصُ على معرفةِ قَدْرِ نفسِه أيضاً . فلا يَحطُّ من أقدارِ الآخرين ، ولا يُبالغُ في تقديره نفسِه ؛ وربما يدفعُه التواضعُ إلى التقليلِ من قَدرِ نفسِه خَشيَةَ الخطأِ ، واحْتياطاً ضد الميولِ الأنانيةِ .

٢- ويصفُ القرآنُ الكريمُ سلوكَ المتكبرين فيقولُ ﷻ ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف:١٤٦) . وهكذا يتطابقُ معنى الكِبرِ في القرآنِ الكريمِ مع معناهُ في السُّنةِ المُطهَّرةِ . فالمتكبِّرُ موضعُ غضبِ اللهِ تعالى ، فهو سبحانه يَصْرِفُه عن آياتِ اللهِ ، وعن سبيلِ الرُّشدِ ، فلا يبقى أمامَه إلا سبيلُ الضلالِ! وإذا نصَحَه أحَدٌ وبيَّنَ له سبيلَ الرشدِ ، رفضَ السيرَ فيه . يقولُ اللهُ تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (البقرة:٢٠٦).

٣- ويُعتَبرُ إبليس أوَّلَ مَن تورَّطَ في إثمِ الكِبرِ . يقولُ الحقُّ تبارك وتعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:٣٤) ويقولُ ﷻ ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ (الأعراف:١٢) وهكذا كان سُوءُ تقديرِه لنفسِه ولآدمَ عليه السلام ، لأن آدمَ خُلِقَ من طينٍ مع نَفخَةٍ من رُوحِ اللهِ ، وهذه النَّفخَةُ الإلهيةُ الرُّوحيةُ هي سببُ كرامتِه . لكنَّ إبليسَ أغفلَها لكي يرفعَ مِن قَدرِ نفسِه بالباطلِ .

- وكان بعض المشركين العربِ يرفضون الإسلامَ لأنَّ كثيراً من الذين آمنوا به كانوا من الفقراءِ والبُسطاءِ . فيقولُ الله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:١٣) وفي كلِّ عَصرٍ ومِصرٍ وُجِدَ المتكبرون الذين لا يؤمنون بالإسلامِ ، لأنه دينُ العرَبِ ، الفقراءِ ، أهلِ الصحراءِ . هكذا فكَّرَ بعض الرومِ والفُرْسِ والأوربيين والأمريكيين ، فكان الكِبرُ سببَ رَفضِهم للإيمانِ بالإسلامِ .

٤- وقد نهانا ربُّنا عن الكِبْر هذه الخَصلَةِ القبيحةِ ، فقالَ تعالى ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً ﴾ (الإسراء:٣٧) والمَرَحُ هنا يُقصَدُ به الكِبرُ . والآيةُ الكريمةُ تنهَى عن الكِبرِ بأسلوبٍ سَاحرٍ ، مؤثِّرٍ ، بليغٍ . فمن أوهامِ المُتكبِّرِ وسوءِ تقديرِهِ لنفسِه أنه يظنُّ أنَّ بوسعِه أن يَخْرِقَ الأرضَ أو أن يَعْلو قَدرُه عُلوَّ الجبالِ السَّامقة !

- وينهانا ربُّنا عن الزَّهوِ والغطرَسةِ التي يراها الناسُ في طريقةِ مُعاملةِ المتكبِّر ، فيقولُ سبحانه ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان:١٨) .

٥- والرسولُ ﷺ يقولُ : « لا يدخلُ الجنةَ مَن كان في قلبِه مِثقالُ حبَّةٍ مِن خَرْدلٍ مِن كِبْرٍ » . فهذا وعيدٌ شديدٌ جداً للمتكبرين . ويقولُ الله تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (النساء:١٧٣) ويقولُ سبحانه أيضًا ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الجاثية:٨،٧) وهذا وعيدٌ شديدٌ رهيبٌ جداً .

٦- وقد علَّمَ الإسلامُ المسلمينَ التواضعَ واجتنابَ الكِبرِ ، وذلك بقبولِ الحقائقِ التي عرفَها الرُّومُ والفُرسُ والهنودُ ، والأحباشُ . وهذا هو شأنُنا اليومَ . فنحن المسلمين نقبلُ كلَّ الحقائقِ التي يكتشفُها الأمريكيون والأوربيون واليابانيون

وغيرُهم ، على الرغمِ من كَونِهم كافرين بالإسلام مُعادينَ للأمةِ المسلمةِ . و« المعروفُ » هو اللفظُ الذي يشيرُ إلى كلِّ ما هو حقٌّ وعَدلٌ لدى البشريةِ ، أو هو اسْمٌ جامعٌ للبدَهياتِ والحقائقِ الراسخةِ لدى أممِ الأرضِ . وتراثُ الأنبياءِ السابقين على نبوةِ محمدٍ ﷺ هو من « العرفِ » الذي يأمرنا الإسلامُ بقَبولِه . فيقولُ سبحانه ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ (البقرة:٢٨٥) أمَّا ما أُقْحِمَ على رُسُلِ اللهِ زوراً فلا يُعترَفُ به إلا كأقوالٍ بَشريَّـةٍ تحتملُ الصوابَ والخطأ . وهذا هو التعبيرُ الفكريُّ عن التواضع .

٧- وفي ضَوْءِ هذه المعاني الإسلامية للتواضعِ والكِبرِ ، لا تُعتبَرُ العزَّةُ كِبراً . واللهُ تعالى يَنسِبُ العزَّةَ للهِ ورسولِه والمؤمنين ، فيقولُ ﷻ ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون:٨) ويصفُ المؤمنين فيقولُ إنهم ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (المائدة:٥٤) والعزةُ تعني الرِّفعَةَ والامتناعَ والشِّـدةَ والغلَـبَةَ ، فهي ليسَتْ كِبراً ، ومعناها غيرُ مَعنى الكِبرِ .

٨- ورسولُ اللهِ ﷺ هو الأسوَةُ الحَسَنةُ لنا جميعاً . والتواضعُ الإسلاميُّ يتجسَّـدُ في سلوكِه الكريمِ . فهو القائلُ : « الحِكمةُ ضالَّـةُ المؤمنِ ، أنَّى وجدَها فهو أحقُّ الناسِ بها » . وطبَّـقَ عليه السلام هذا المبدأ ، فقبِلَ كلَّ حقيقةٍ وجدَها عِندَ الناسِ . مثال ذلك رأيُ سلمانَ الفارسيِّ رضي الله عنه بحفرِ خَندقٍ حَولَ المدينةِ المنوَّرةِ لِصدِّ جَيشِ المشركين يومَ « الأحزابِ » ورجعَ عن عَقدِ اتفاقٍ مع قبيلةِ غَطـفَان حين اعترضَ عليه سَعدُ بن عُبادَةَ وسعدُ بن مُعاذٍ ، يومَ « الأحزابِ » أيضاً . وأقرَّ الكرَمَ الذي كان فضيلةَ العربِ ، مع تعديلاتٍ طهـَّرتـه من الرياءِ . وأيَّـدَ الإسلامُ كثيراً من الفضائلِ الجاهليةِ ، بعد تعْديلِها كيْ تتفقَ مع دينِ التوحيدِ العظيمِ .

- ولم يكنْ يَبْخَسُ أحداً قـدْرَه أبداً - ﷺ ، بل كان يحترمُ الناسَ جميعاً . قال أَنسٌ رضي الله عنه : « كان رسولُ اللهِ ﷺ يعودُ المريضَ ، ويُشيِّعُ الجنازةَ ، ويُجيبُ دَعوةَ

المَملوكِ» . وقالَ أبو سعيدٍ الخُـدْريُّ : « كان ﷺ يَعْلِـفُ البَعيرَ ، ويُقِـمُّ (أي يكنس) البيتَ ، ويَخصِفُ النعلَ (أي يَرْقعُه) ، ويَرْقعُ الثَّـوبَ ، ويَحلبُ الشاةَ ، ويأكلُ مع الخادمِ ، ويَطحَنُ معه إذا أعيَا (يعني إذا تعِبَ) ، وكان لا يَمنعُه الحياءُ أن يحملَ بضـاعتَـه مِـن السُّوقِ إلـى أهـلِه ، وكـان يُصافِـحُ الغنيَّ والفقيرَ ، ويُسلِّمُ مُبتـدئـاً ولا يحتقرُ ما دُعيَ إليه ، ولو إلى حَشَفٍ من تمرٍ . .» وكلٌّ هذا تطبيقٌ للتواضعِ الواجبِ علينا نحن المسلمين .

(الدعاء)

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

● **الغاية من الخطبة :** توْعيَة المُكلـَّفين بواجباتِهم .

● **العناصر الأساسية :**

(١) امتناع تكليف ما لا يُطيقه العبادُ . شرحُ الآية وبيانُ الأصلِ الذي تقولُ به .

(٢) تطبيقُ هذا الأصلِ في الصلاة والوضوء .

(٣) وتطبيقه في الصيام ،

(٤) وفي الحَج ،

(٥) وفي الزكاة ،

(٦) وفي الجهاد ،

(٧) وفي النفقات .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ** ﴾ (البقرة:٢٨٦) ويقولُ ﷻ ﴿ **وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ (البقرة:٢٣٣) في هاتين الآيتيْن الكريمتين وفي آياتٍ أخرى من كتابِ اللهِ تعالى تعبيرٌ واضحٌ لا لَبْسَ فيه ولا غُموضَ ، عن أصلٍ كبيرٍ من أصولِ الإسلامِ ، يقررُ أنَّ اللهَ تعالى برحمَتِه وفَضلِه لا يكلِّفُنا إلا بما نستطيعُ عمَلَه . وإذا كلَّفَ اللهُ عبادَه بشيءٍ يستطيعون عَمَلَه كان عليهم الطاعةُ وأداءُ العملَ المُكلَّفين به . فإذا عجزَ أحدُهم عن أدائه لمَرَضٍ أو سَفرٍ أو لأيَّةِ عِلَّـةٍ أخـرى ، رَخَّصَتْ له شريعةُ اللهِ تعالى بإسقاطِ التكليفِ عنه حتى يستطيعَ . وعلى المسلمِ أن يَحرصَ على مَعرفةِ التكاليفِ الشرعيةِ الواجبةِ عليه والمَندوبَةِ منه ، وأن يَبْذُلَ جُهدَه لأدائها ، وأن يُخطِّطَ لبُلُوغِ الاستطاعةِ ، وإذا بَلَغها ، أن يُحافظَ عليها ولا يُبدِّدَها .

٢- فلننظرْ الآن في تطبيقاتِ هذا الأصلِ الكبيرِ ، ونُصَحِّحَ سُلوكَنا لكي يُصبحَ شرْعياً دقيقاً . ففي الصلاةِ كلَّفنا ربُّنا ﷺ بالصلاةِ المَفروضةِ الواجبةِ ، خَمسَ صلواتٍ في اليومِ ، سَبْعَ عَشَرة ركعةٍ في اليومِ . والأغلبيةُ العُظمى من العبادِ يستطيعون القيامَ بهذه الصلواتِ دون إرهاق أو مَشقَّةٍ لا تُحتَمَلُ . فوَجبَتْ عليهم الطاعةُ ولزمَهم الأداءُ . لكن إذا سافرَ العَبْدُ ، رُخِّصَ له أن يَقْصُرَ في الصلاةِ ، فيُصلي الظهرَ ركعتَيْن ، وكذلك العصرَ والعِشاءَ . ويجوزُ له أن يجمعَ بين الظهرِ والعَصرِ وبين المغربِ والعِشاءِ . وإذا وجدَ صُعوبةً في الصلاةِ قائماً رَخَّصَتْ له الشريعةُ أن يُصلي قاعداً ، وأن يَركعَ ويَسجُدَ بالإيماءِ . وإذا لم يجدِ الماءَ للوُضوءِ ، جازَ لهُ أن يتيَمَّمَ . والآياتُ القرآنيةُ والأحاديثُ النبويةُ وأعمالُ النبيِّ الكريمِ وسُنَنه تُبيِّنُ تفاصيلَ التكليفِ ، والرُّخَصِ . فاحرصوا أيها المسلمون على معرفةِ ما عليكم من تكاليف وما لكم من الرُّخَصِ لكي تعملوا العملَ الصحيحَ في حُدودِه وبأوصافِه الشرعيةِ ، وتنالوا مَرْضاةِ ربِّكم وثوابَه إن شاءَ اللهُ .

٣- وأنت أيها العَبدُ المسلمُ مُكلَّفٌ بصَومِ شهرِ رمضانَ المبارَكِ كلَّ عامٍ ، والأغلبيةُ الساحقةُ من الناسِ تستطيعُ القيامَ بهذا التكليفِ دون عَناءٍ . ولكنَّ ظروفاً قد يمرُّ بها العبدُ تجعلُه غيرَ مُستطيعِ الصيامِ ، فتُجيزُ الشريعةُ له أن يُفطرَ ، ثم يَقضي بعدَ أن تزولَ تلك الظروفُ . وفي هذا يقولُ اللهُ تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة:١٨٣،١٨٤) لأنَّ المرضَ والسَّفرَ يَسْلُبان الإنسانَ القدرةَ على الصَومِ غالباً . وإذا كان المرضُ يسيراً خفيفاً لا يَعوقُ الصومَ ، جازَ للعبدِ أن يَصومَ . وكذلك إذا كان السفرُ يسيراً ، قريباً ، جازَ أن يصومَ المُسافرُ . إذن وجوبُ التكليفِ مرتبطٌ بوجودِ القدرةَ عليه واسْتطاعةِ أدائهِ دون مَشقةٍ زائدةٍ . ولهذا وجدنا الصحابةَ رضوانُ اللهِ عليهم يسافرون معاً فيصومُ بعضُهم ويُفطِرُ بعضُهم ، ولا يلومُ بعضُهم بعضاً .

٤- وأنت أيها المسلمُ مُكلَّفٌ بأداءِ فريضةِ الحَجِّ مرةً واحدةً في العُمُر . لكنَّ هذا التكليفَ مَشروط بالاسْتطاعةِ . فيقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ (آل عمران:٩٧) ففي الآيةِ نفسِها ، وعَقِبَ التكليفِ مُباشرةً يأتي النَّصُّ على شرطِ الاستطاعةِ . وأنت أيها المسلمُ مُطالَبٌ ببلوغِ الاستطاعةِ ، فعليك أن تدَّخِرَ المالَ لتكونَ قادراً على الحَجِّ . وحَرامٌ عليك أن تُبذِّرَ في الإنفاقِ على الطعامِ والملابسِ والفراشِ والأثاثِ وغيرِ ذلك ، بحيثُ تُضيِّعُ كلَّ دَخْلِك على المَلَذَّاتِ الدُّنيويَّةِ ، وتظلُّ عاجزاً عن القيامِ بفريضةِ الحَجِّ . وأما الفقراءُ الذين لا يستطيعون الادِّخارَ فليس عليهم حَرَجٌ ولا إثم . إنَّ الادِّخارَ للحجِّ مهما كان قليلاً ومهما طالَ الزمنُ ، له قيمةٌ عظيمةٌ ، لأنه يُثبتُ نيَّةَ الحَجِّ ، ويكونُ لك عُذراً يومَ تَلْقى اللهَ تعالى .

٥- وفي الزكاةِ نجدُ هذا الأصلَ الكبيرَ واضحاً . فالزكاةُ مَشروطةٌ بامْتلاكِ قَدْرٍ من المال ـ هو اليومَ ثلاثةُ آلافِ جنيهٍ مصريٍّ تقريباً ـ ومَشروطةٌ بأن يَمرَّ عامٌ على وُجودِهِ مُدَّخَراً عند المسلمِ . وهذان الشرطان يبيِّنان أنَّ الزكاةَ تكليفٌ لبعضِ المسلمين الذين يُطيقونها ؛ وأنَّ المسلمَ الذي لا يملكُ النِّصابَ ، (أي حَوالَيْ ٣ آلافِ جنيهٍ) ، أو يملِكُها ولكنْ لم يَمُرْ عليها عامٌ كاملٌ ، فليسَ عليه زكاةٌ ، فإذا اكتملَ العامُ وَجَبَتِ الزكاةُ .

٦- وأنت أيها المسلمُ مُكلَّفٌ بالجهادِ في سبيلِ اللهِ ؛ والأغلبيةُ الساحقةُ من المسلمين تستطيعُ القيامَ بهذا التكليفِ العظيمِ . لكنَّ هناك طوائفَ من المسلمين أعفاها اللهُ منه . قال تعالى ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ﴾ (البقرة:١٩٠) وقالَ تعالى ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (التوبة:٩١) ثم قالَ ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ (التوبة:٩٢) فواجبُ الجهادِ

مَشروطٌ بالاستطاعةِ ، وهذا بَدَهيٌّ ، إذْ كيف يُقاتلُ الضعيفُ والمريضُ والمُعْدَمُ الذي لا يجدُ الرَّاحِلةَ أو النفقةَ ؟!

٧- وأنت أيها المسلمُ مُكلَّـفٌ بالإنفاق على زَوْجتِك وأوْلادِك ، لقولِ اللهِ تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة:٢٣٣) وقوله تعالى ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ (الطلاق:٧) ولا يجوزُ للزوجةِ أن تُطالِبَ الزوجَ بما يفوقُ طاقتَه ، لأنَّ اللهَ تعالى لا يُكلِّفُه بذلك . وعلى الزوجِ ألا يبخلَ أو يُقصِّرَ في حَقِّ أهله طالما كان قادراً على تلبيةِ حاجاتِهم دون تبذيرٍ أو إسرافٍ . ولكلِّ فَردٍ وضعٌ خاصٌ ، بحَسبِ قُدراتِه ، ويُشيرُ قولُه تعالى ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ ﴾ (البقرة:٢٣٦) إلى هذه الحقيقةِ ، فلا تقولُ المرأةُ : أنا مِثلُ فلانة ! لأن قُدراتِ الزوجيْن مُختلفةٌ .

- هذا هو الأصلُ الكبيرُ العظيمُ في التكليفِ . وهو يُبيِّنُ رحمةَ اللهِ بعبادِه ، لأنه لم يُكلفْهم إلا بما يُطيقون . فعلى كلِّ قادرٍ منا أن يُطيعَ ربَّه فيما كلَّفه به ، ولا يتقاعَسَ عن واجباتِه ، إلا إذا كان عاجزاً عن أدائها .

(الدعاء)

التحذير من الفحشاء

● **الغاية من الخطبة** : تحذير المسلمين من الفحشاء ونتائجها الوخيمة في الدنيا والآخرة .

● **العناصر الأساسية** :

(١) الإسلام يحث على الزواج لإشباع الشهوات الفطرية وإعمار الكون .

(٢) والإسلام يحرِّم إشباع الشهوات خارج نطاق الزواج ، ويعاقب عليه بشدة .

(٣) والإسلام شرَّع التدابير الوقائية لمنع الفحشاء .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (النساء:٣) في هذه الآيةِ الكريمةِ يَندُبُنا ربُّنا ﷻ للزواجِ ويَحثُّنا عليه ، ويُبيحُ للرجلِ أن يتزوجَ أربعَ نساءٍ . وهذا هو الطريقُ الشرعيُّ السَّديدُ لإشبَاعِ الشهواتِ الفطريةِ ، وتكوينِ الأُسَرِ ، واستْمرارِ الحياةِ البشريةِ جيلاً بعد جيلٍ ، وإعمارِ الكونِ ، والقيامِ بعبادةِ اللهِ تعالى في الأرضِ ، واستمرارِ الأمةِ المسلمةِ في الوجودِ ، ونشرِ الإسلامِ بين خَلقِ اللهِ تعالى . وبغيرِ الزواجِ تَعُمُّ الفوضى ويكثُرُ أبناءُ الزنا ، كما هو الحالُ اليومَ في كثيرٍ من الدولِ غيرِ المسلمةِ التي أباحَتِ الزنا واللواطِ رَسمياً ، فصارَ الرجلُ يتزوجُ رجلاً مثلَه ، والمرأةُ تتزوجُ امرأةً مِثلَها ، وهو زواجٌ شاذٌ ، تشمئزُ منه الحيواناتُ نفسُها ، وهو زواجٌ عقيمٌ بطبيعةِ الحالِ . ولذلك بدأتْ تلك الأممُ المعاناةَ من نقصِ عَددِ سُكانِها ، وهي لا تجدُ حلاً للمشكلةِ سوى استيرادِ المُهاجرين !

- ويَحثُّنا القرآنُ الكريمُ على الزواجِ من الأيامَى والصالحاتِ مِن الإماءِ والعبيدِ إذا كان المَرْءُ غيرَ قادرٍ على الزواجِ من امرأةٍ حُرةٍ . قالَ تعالى ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور:٣٢) فبعضُ المسلمين الفقراءِ يأبَى الزواجَ من امرأةٍ (أمةٍ) فقيرةٍ ، وفي الوقتِ نفسِهِ لا يستطيعُ نِكاحَ الحُرةِ ، فيَبقى بلا زوجَة . وهذا خَطرٌ عليه وخَطرٌ على الجماعةِ المسلمةِ . ونحن الآن نرتكِبُ هذا الخطأَ الجسيمَ ، فالبعضُ يَرفضُ الزواجَ من امرأةٍ فقيرةٍ ، ويُصِرُّ على مصاهرة أُسرةٍ كبيرةٍ ، غنيةٍ . ولذلك ينتظرُ حتى سِنِّ الأربعين لكي يَبلُغَ أمَلَه ، ويُضيِّعُ سنواتٍ من عُمرهِ ، وربما وقعَ في الفحشاءِ والعياذُ بالله !

- والرسولُ ﷺ يَحثُّ الشبابَ المسلمَ على الزواجِ ، لكي يُحصِّنَهُ ضدَّ الفحشاء ، فيقولُ : « يا مَعشرَ الشبابَ مَن استطاعَ مِنكم الباءَةَ فلْيتزوجْ! فإنه أغضُّ للبصرِ وأحصَنُ للفرْجِ ، ومَن لم يستطعْ فعليه بالصومِ فإنه له وِجَاءٌ .» فكلُّ شابٍّ قادرٍ على تكوينِ أسرةٍ وعلى القِيامِ بواجباتِها ، أن يتزوجَ ، ليساعدَهُ على غَضِّ البَصرِ وتحصينِ الفَرْجِ . فالزواجُ وقايةٌ من الفواحِشِ ، وطريقٌ إلى الطاعةِ والإسهامِ في إعمارِ الكونِ وتقويةِ الأمةِ . وهكذا يُيسِّرُ الإسلامُ الزواجَ إلى أقصى حدٍّ ، خصوصاً إذا علِمنا أن المَهْرَ يمكن أن يكون يسيراً جداً .

٢- وفي الوقتِ نفسِه أغلقَ الإسلامُ كلَّ أبوابِ الفَحشاءِ ، ووضعَ سُدوداً بين المسلمين وبين الإشباعِ الحرامِ للشهواتِ الفطريةِ . فالقرآنُ الكريمُ يَنهى المسلمين عن مُجرَّدِ الاقترابِ من الزنا فيقولُ ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء:٣٢) ويقولُ أيضاً ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (الأنعام:١٥١)

- ويُعاقِبُ الإسلامُ مُرتكبي جريمةَ الزنا عِقاباً شديداً . فيقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ

فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النور:٢) هذه هي عُقوبةُ الزاني غيرَ المحْصَنِ والزانيةِ غيرَ المُحصَنةِ . أما الزاني المُحْصَنُ والزانيةُ المُحصَنةُ فعُقوبَتهما الرَّجمُ حتى الموتِ . لكن هذه العُقوباتِ لا تُطبَّق إلا بعد إجراءاتٍ صارمةٍ ، بحيثُ لا يُعاقَبُ بها إلا مَن شَهدَ عليهِ أربعةٌ من المسلمين بأنه زَنى ، وأنهم شاهدوه يَزني! وطبعاً يَصعُبُ جداً أن يراهُ أربعةٌ . ومِن هنا وَجدنا حدَّ الزنا لا يُقامُ في الواقعِ إلا على مَن يَعترفُ على نفسِه بأنه زَنى ، ويُصرُّ على اعترافِه . وإذا بدأ الرجمُ فهربَ الزاني أو الزانيةُ ، أو رجعَ عن اعترافِه فإن ذلك يُعتبرُ رُجوعاً عن الاعترافِ ويوقَفُ الرجمَ . ولذلك يقولُ بعضُ العلماءِ إن حدَّ الزنا عُقوبةٌ ردْعيَّةٌ ؛ وتُؤَيدُ ذلك نُـدْرَةُ تطبيقِه في عالمِ الواقعِ في البلادِ التي تُطبِّقُ الشريعةَ الإسلاميةَ تطبيقاً كاملاً . ومن المُحزنِ أن بعضَ بلادِ المسلمين لا يُطبقُ هذا الحَدَّ ، بل يُبيحُ الزنا ، ويَسمحُ للعاهراتِ بممارَسةِ الدَّعارةِ رسمياً ! وهذا بتأثيرِ الثقافةِ الغربيةِ الأوربيةِ التي غَزَتْ بلادَ المسلمين . ولا تزالُ أمَّتُنا تُقاومُ هذا البلاءَ مقاومةً باسلةً ، وقد أفلحَتْ إلى حَدٍّ كبيرٍ في الحِفاظِ على طهارةِ المجتمعِ المسلمِ ونظافتِه . والمعركةُ بين الإسلامِ والثقافةِ الماديةِ الأوربيةِ لا تزالُ مُشتعلةً حَوْلَ حدِّ الزنا وحولَ علاقاتِ الرجال بالنساءِ بصفةٍ عامةٍ . وينتصرُ الإسلامُ بكلِّ واحدٍ منكم أيها المسلمون يُحافظُ على نفسِهِ وأهلِهِ من الوقوعِ في هذا الإثمِ المُبينِ ، وينهزمُ بكلِّ مسلمٍ يتورَّطُ فيه !

٣- ويُساعدُ الإسلامُ المسلمَ على اجتنابِ الزنا ، وذلك عن طريقِ وَضعِ سُدودٍ بينه وبين الفحشاءِ ، وهو ما يُسمِّيهِ العلماءُ «التدابيرَ الوقائيةَ». من ذلك مثلاً تحريمُ الخَلْوَةِ بين المرأةِ المسلمةِ ، والرجلِ الأجنبي - يعني الذي ليس من محارمِها . وفي هذا يقولُ الرسولُ ﷺ : «لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا ومعها ذو مَحرَمٍ». وينهى الإسلامُ المسلمين عن عَضْلِ النساءِ ، أيْ مَنعُهنَّ من الزواجِ ، فيقولُ ﷻ ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم

بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢٣٢) فطهارةُ المجتمعِ المسلمِ من الزنا هي الغايةُ الساميةُ لهذا النَّهْي . هذا فضلاً عن صَوْنِ حقِّ المرأةِ في أنْ تعيشَ حياتَها الطبيعيةَ في عِصْمةِ زوْجٍ ، ووسَطِ أسْرَةٍ . وإذا حدثَ شِجارٌ بين الزوجيْنِ ، وكثيراً ما يَحدثُ ، يأمرُنا الإسلامُ بالمُسارَعةِ بالإصلاحِ بينهما صِيانةً للأسْرةِ من التفككِ وما يُؤدي إليه من طلاقٍ ، وحِرمانِ الزوجيْنِ من حقِّهما الفِطريِّ في إشباعِ البواعِثِ الجنسيةِ ، وبذلك يتعرَّضان لاحتمالاتِ الوقوعِ في الفحشاءِ ، ويتعرضُ الأولادُ للتشرُّدِ والضياعِ . ولكنْ إذا تعَـذَّرَ الإصلاحُ ، أُبيحَ الطلاقُ ، وهو أبْغضُ الحلالِ عند اللهِ تعالى ، كما قالَ رسولُ اللهِ ﷺ ، لكي يَسْعَى كلٌّ إلى حياةٍ زوجيةٍ أخرى أكثرُ توفيقاً واستقراراً .

● فيا أيهـا المسلمـون ! انتبهـوا إلـى خطـورةِ الزنـا ، وربُّـوا أولادَكـم علـى العَفافِ والطهـارةِ ، **والْتزموا بالتدابيرِ التي جعلها الإسلامُ سُـدوداً لوقـايتكم مـن أخطارِ الفحشاءِ ، فلا تسْمحوا للنساءِ بالتبرُّجِ أو الاختلاءِ بالرجالِ غيرِ المَحـارمِ ، ولا تعْضُلوا امرأةً أن تتزوجَ إذا جاءها مَن هو كُفءٌ لـها . وشجعوا أولادَكم على الزواجِ وساعدوهم عليه** . واللهُ تعـالى نسـألُ أنْ يقينـا شـُرورَ الزنـا والفحشـاءِ إنـه سميعٌ قريبٌ مُجيبُ الدعاءِ .

(الدعاء)

الإسراء والمعراج

● **الغاية من الخطبة** : درس من الإسراء والمعراج : الإيمان ضد التكذيب .

● **العناصر الأساسية** :

(١) قصة الإسراءِ والمعراج في إيجاز .

(٢) أنموذج المؤمنين المُصَدِّقين : أبو بكر الصديق .

(٣)حاجتنا اليوم إلى الامتحان لتمييز المُصدِّقين من المكذبين .

(٤) الإسلام مَبنيٌّ على التصديق بكل ما جاء به الرسولُ من كتابٍ وسُنة .

(٥) الإسلامُ يجب أن يُؤخَذ كلُّه ، دون انتقاء أو اجتزاء .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ (الإسراء:١) هذه هي آيةُ الإسراءِ . ونحن نحتفلُ بذكرى الإسراءِ هذه الأيامَ ، نريدُ أن نتعلمَ شيئاً مفيداً من دروسِ هذه الحادثةِ الكبرى في تاريخِ الإسلامِ . والآيةُ الكريمةُ تُبيِّنُ لنا أن الغايةَ من الإسراءِ إظهارُ بعضِ آياتِ اللهِ تعالى للنبيِّ ﷺ . فأرسلَ اللهُ تعالى عبدَه جبريلَ عليه السلام ، ومعه البُراقَ ، ليحملَ النبيَّ ﷺ من المسجدِ الحرامِ في مكةَ المكرمةِ إلى المسجدِ الأقصى في بيتِ المَقدسِ في بلادِ الشامِ . وجبريلُ عليه السلام كما نعلمُ هو رئيسُ الملائكةِ ؛ والبُراقُ كائنٌ يُشبهُ الفَرَسَ ، لكنه ليس حَيواناً ، كحيواناتِ الدنيا . ومن بيتِ المَقدسِ صَعِدَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى السماواتِ ، حتى بَلغَ سِدْرَةَ المُنتهى ، وهي شجرةٌ عظيمةٌ جداً لا نستطيعُ نحن أهلَ

الدنيا أن نتخيلَ عَظَمَتها وضخامتها ، وقد غشَّاها نورُ اللهِ تعالى ، كما جاءَ في قول اللهِ تعالى ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ (النجم:١٦-١٨) وهذا تكريمٌ إلهيٌّ لرسول اللهِ ﷺ ما بَعدَه تكريم : أن يجدَ البُراقَ ويركبَه إلى المسجدِ الأقصى ، ليُصلي بإخوانِه رُسُلِ اللهِ السابقين إماماً ، ثم يرى السماواتِ ، سماءً فوقَ سماءٍ ، ثم يَبْلُغ سِدرةَ المُنتهى ، ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾(النجم:١٥) ثم يعودُ إلى المسجدِ الحرامِ في مكةَ المكرمةِ ، كل ذلك في وقتٍ قصيرٍ جداً .

٢- وكان الإسراءُ والمِعراجُ امتِحاناً للمؤمنين أيضاً . وكانت الدعوةُ الإسلاميةُ ، بعدَ البَعثةِ المُحمديةِ بحوالَيْ سَنةٍ ونصفٍ بحاجة إلى فَرْزِ الناسِ ، ليُعرَفَ المؤمنُ الحقُّ ، مِن المُنافقَ الذي يُبْطِنُ غيرَ ما يُعلِنُ ، فيقولُ اللهُ تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ (الإسراء:٦٠) ومعنى الفتنةِ في هذه الآيةِ الكريمةِ : الامتحانُ أو الاختبارُ ، الذي يكشِفُ المُصدِّقين للنبيِّ مِن المُكذِّبين له ، وبذلك تتطهَّرُ الدعوةُ الإسلاميةُ مِن المكذبين والمنافقين ، وتُواصلُ التقدمَ والانتشارَ بصفوفٍ طاهرةٍ نقيةٍ من كلِّ ضعفٍ وخَبَثٍ . وكان أبو بكرٍ الصديقُ ﷺ هو الأنموذجُ للمُصدقين المؤمنين . وقد جاءَه بعضُ المشركين يُهَرْوِلون ويقولون : زَعَمَ صاحبُك ـ يعنون النبيَّ ﷺ ـ أنه قد أُسْرِيَ به ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى! فماذا تقولُ في هذا ؟ ولقد أجابَهم ﷺ في هُدوءٍ وثِقةٍ قائلاً : « واللهِ لئنْ كان قالَه لقد صَدقَ . » وقالَ مثلَ ذلك كلُّ المؤمنين المُصدقين . أما المنافقون فقد كذَّبوا النبيَّ ﷺ ، فرَسَبوا في الامتحانِ ، وارتدَّ بعضُ مَن كان قد أسلمَ ولم يُعَمِّرِ اللهُ قلبَه بالإيمانِ الحقِّ الصادقِ العميقِ . وهكذا تطهَّرَتِ الجماعةُ المسلمةُ من تلك العناصرِ المنافقةِ الخطيرةِ المُخرِّبةِ .

ونحن الآن ، كما كان المسلمون في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، في حاجةٍ ماسَّةٍ إلى هذا الامتحانِ الذي يَفرزُ الطيِّبَ مِن الخبيثِ . فأهلُ الإيمانِ يُصدِّقون نبيَّهم ﷺ في كلِّ

ما قالَ : يُصدقون قولَه إنه رسول من ربِّ العالمين ، وإن جبريلَ جاءَه بآياتِ اللهِ تعالى مِن عندِ اللهِ تعالى ؛ ويُصدقون قولَه إنه قد أُسْرِيَ به ، لا يَرْتابون في ذلك أدْنَى ريبٍ . وهذا التصديقُ هو شرطُ الإيمانِ والعلامةُ الدَّالةُ عليه ، كما أنه شرطُ الطاعةِ والامتثالِ لأوامرِ اللهِ تعالى ، وأوامرِ رسولِه ﷺ . واليومَ ينكشفُ للمسلمين حالُ المؤمنين وحالُ المُكذبين . المؤمنون مثلُ أبي بكرٍ ، يقولون : « واللهِ لئنْ كان قالَه لقد صَدقَ ». والمكذبون يقولون : كيف حَدَثَ ذلك؟! و هل حَدَثَ الإسْرَاءُ بالروحِ فقط أَم بالروحِ والجسدِ؟ وهم يُرَجِّحون الإسْرَاءَ بالروح فقط ليكونَ مُجَرَّدَ حُلْمٍ من الأَحْلامِ التي يَراهَا النَّائِمُ ، فَلا مُعْجِزَة فيه ولا كَرامَة لِرَسُول الله ﷺ ، فكلُّ إنسانٍ يمكنُ أن يَرَى مِثْلَ تلك الرُّؤية ! وهم يحاولون بِطُرُق مُلْتَوِيةٍ تكْذيبَ أحاديثَ رَسُولِ الله ﷺ التي لا تُعْجِبُهم ولا تتفقُ مع مَذاهِبِهم المادِّية ، بَلْ نَراهُم يتأَوَّلُونَ بعضَ آيات القرآنِ الكريمِ لتكذيبِ آياتٍ أُخْرى أو أحاديثَ نبويةٍ صحيحةٍ . وهكذا كان التَّصْدِيقُ هو عَلامةُ الإيمان ، والتكذيبُ عَلامَةُ الكفْرِ . فنحن لا نحتاجُ إلى شَقِّ صَدْرِ أَحَدٍ لِنَعْرفَ إنْ كان مؤمناً أم مُكذباً ، لأنَّ كلَّ امْرِئٍ يُعْلِنُ عَمَّا في قَلْبه ، فيصدِّقُ الرسولَ والقرآنَ ، مُعْلناً عن إيمانه ، أوْ مُكذِّباً للرسولِ وللقرآنِ ، مُعْلِناً عن كُفْره !

٣- والإسلامُ مَبْنيٌّ على تصْدِيقِ النبيِّ ﷺ وما أُوحيَ إليه من كتابٍ وسُنَّةٍ . وفي القرآنِ الكريمِ كثيرٌ من المعجزاتِ مِثلُ الإسراءِ . فآدمُ وزوجُه هبَطا من السماءِ إلى الأرضِ ، وفي هذا يقولُ اللهُ تعالى ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ (طه:١٢٣) ولا نعرفُ كيف هبَطا . وقد توفَّى اللهُ تعالى نبيَّه عيسى عليه السلام ورفَعَه إليه ، وفي هذا يقولُ اللهُ تعالى ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ (آل عمران:٥٥) ولا تستطيعُ عقولُ البشرِ فَهْمَ رَفعِ عيسى إلى اللهِ ، وسوف يُصدِّقُ به المؤمنون ويتشككُ فيه المُكذبون ، ويتساءلون : هل رفعَ اللهُ رُوحَه فقط أو رُوحَه وبَدَنَه؟ وأعظمُ من الإسراءِ والمعراجِ ومن إهباطِ آدمَ وزوجِهِ من الجنةِ إلى الأرضِ ، ومن رَفعِ عيسى ، خَلْقُ آدمَ عليه السلام من ترابٍ ،

وخَلقُ الوجودِ كلِّه من العَدَمِ بقوله تعالى ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ (البقرة:١١٧) ثم البَعْثُ والحِسابُ والجزاءُ والعقابُ والحياةُ الأُخرويَّةُ . فالمؤمنون يُصدِّقون كلَّ ما جاءَ في كتابِ اللهِ تعالى من المُعجزاتِ والخوارقِ والآياتِ التي لا تستطيعُ عقولُ البشرِ القاصرةُ فهمَها أو تخيُّـلَها . والمُكذبون يُكَذِّبون ذلك ؛ والمنافقون يُكذِّبون به لكنهم يتظاهرون بالتصديقِ ، ثم يُثيرون الشكوكَ . وهذه المواقف الثلاثةُ تُقابِلُنا كلَّ عامٍ في ذِكرى الإسراءِ . والخطرُ الأكبرُ يأتي من مُعسكرِ المنافقين ، لأنهم يُعلنون أنهم مسلمون ، وتحتَ غِطاءِ الإسلامِ يَبْذُرون الشكوكَ في الدينِ . ولهم أبواقٌ وأجهزةٌ رهيبةٌ تنشرُ التكذيبَ وتُغْـري الناسَ بالتمرُّدِ على دينِ اللهِ تعالى . فلْيسألْ كلُّ مسلمٍ نفسَه : هلْ هو مُصَـدِّقٌ أم مُكذِّبٌ ؟ وهل هو مُطيعٌ للهِ تعالى أم عَاصٍ مُتمردٍ ؟ وبذلك نستفيدُ من دَرسِ الإسراءِ .

٤- والخِدعَةُ الكبرى التي تُواجهُنا اليومَ هي التكذيبُ لبعضِ آياتِ القرآن الكريمِ ولبعضِ السُّننِ النبوية الشريفةِ . ذلك لأن تكذيبَ الإسلامِ كلِّه ، بمعنى الرِّدةِ ، وإعلانَ الكفرِ ، صَعْبٌ جداً ؛ والذين تجرَّأوا وأعلنوا ردَّتهم ، نبَذَتهم الأمةُ نبْذاً تاماً ، فتعلَّمَ أتباعهم وحَفدَتَهم الدرْسَ ، واتَّخذوا منهجَ الخِداعِ ، أعْني إعلانَ الإيمان ببعضِ آياتِ القرآنِ وبعضِ عقائدِ الإسلامِ ، والكفرَ ببعضِ عقائدِه وشرائعِه . مثالُ ذلك إنكارُ القَدَرِ ، لأنه عندهـم ضِدَّ الحرية ! ثم رَفْضُ نظامِ الإسلامِ التشريعيِّ والأخلاقيِّ ورَفْضُ تطبيقِه ، ومُحارَبَةُ كلِّ مَن يُطبِّـقُـه على نفسِه وأولادِه . والسَّـعي لإحْلالِ أخلاقياتٍ أجنبيةٍ مَحلَّ القيمِ الإسلاميةِ . **فعلينا أن نأخذَ الإسلامَ كلَّه عَقائدَ وشرائعَ وأخلاقًا . ولا نُفرِّطَ في شيءٍ منه فنُكذِّبَ بعضَ آياتِ القرآنِ ونرُدُّها ونُنكرُها والعياذُ باللهِ !**

(الدعاء)

شخصية المسلم

● **الغاية من الخطبة** : حث المسلمين على التمسُّك بمميـزات الشخصـية المسـلمة ومقاومة تقليد الأجانب .

● **العناصر الأساسية** :

(١) المسلمون خير أمة . . كيف ولماذا ؟

(٢) الوَسَطية . . . ما معناها؟

(٣) قِبلةٌ خاصة : المسجد الحرام في مكة المكرمة .

(٤) لُغةٌ خاصة (مهددة الآن بالاندثار!) هي اللغة العربية .

(٥) كيف يجب أن نحتفل بأعيادِنا ؟

(٦) عِمارةٌ إسلامية (مهددة بالاندثار!)

(٧) أزياءٌ خاصة ـ النهي عن التختُّم بالذهب للرجال ، وعن لُبْسِ الحرير ، وعن تقليد النساء للرجال والرجال للنساء .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- يقولُ اللهُ تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:١١٠) نحن المسلمين ، نحن الأمةَ المسلمةَ ، خَيرُ الأممِ ، إذا نحن قمنا بالواجباتِ التي كلَّفنا بها ربُّنا ﷻ . والآيةُ الكريمةُ تذكرُ منها : الأمرُ بالمعروفِ والنهيَ عن المُنكرِ ، والإيمانَ باللهِ تعالى . وهذا الإيمانُ ينطوي على الإيمانِ بالملائكةِ والكتبِ المُنزَّلةِ على رُسلِ اللهِ ، وبما تشتملُ عليه الكتبُ المُنزلةُ من تكاليف وواجباتٍ عديدةٍ . والقرآنُ الكريمُ هو الرسالةُ الخاتمةُ ؛ وهو يُبيِّنُ للأمةِ المسلمةِ المعروفَ الذي يجبُ أن تأمرَ به ،

والمُنكراتِ التي يجبُ أن تنهى عنها ؛ وسُنةُ النبيِّ ﷺ تبيِّنُ وتشرحُ وتوضحُ ما جاءَ في القرآنِ الكريمِ ، والإيمانُ بالرسولِ ﷺ يقتضي العملَ بسُنتِه التي تُبيِّنُ القرآنَ ، والتي تُشرِّعُ للمسلمين ابتداءً أحياناً .

- فلكي نكون خَيرَ أمةٍ ـ إذن ـ يجبُ أن نلتزمَ بالقرآنِ الكريمِ وبالسُّنةِ النبويةِ المُطهرَةِ . وإذا نحن وُفِّقنا في الالتزامِ ظهرَتْ شخصيةُ المسلمِ الفردِ وتميَّزتْ من شخصيةِ غَيرِ المسلمِ ، وظهرَتْ أيضاً شخصيةُ الأمةِ المسلمةِ وتميَّزَتْ من غيرِها . وإذا نحن فرَّطنا في الالتزامِ بالكتابِ والسُّنةِ ، ضاعَتْ شخصيتُنا ، وأصبحْنا نُسَخاً مُشوَّهةً من الأممِ الأخرى . وهذا هو ما حدثَ بكلِّ أسَفٍ ، وعلى نِطاقٍ واسعٍ ، ولا يزالُ يتَّسعُ ويتسعُ ، منذُ أن اختلطنا بالأوربيين المستعْمِرين (الذين احتلوا بلادَنا سنة ١٨٨٢م ، وقبل ذلك أيضاً حين غَزا الفرنسيون مِصرَ سنة ١٧٩٨م ، وإن كانوا قد طُردُوا منها بعد ثلاثِ سنواتٍ)[١]

- ونحن الآن لا نعرفُ مِن ديننا إلا القليلَ . ولا نعرفُ كثيراً من المعروفِ والمنكرِ . وعلى هذا لا نستطيعُ أن نقومَ بالأمرِ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكرِ . ومن جهةٍ أخرى لم يَعُد المسلمُ يتقبَّلُ النصيحةَ ، ويغضبُ ممن يأمرُه بالمعروفِ أو يَنهاهُ عن المنكرِ! ولهذا اختفتْ هذه المَيْزَةُ التي تُميزُ الفرْدَ المسلمَ والمجتمعَ المسلمَ من كثيرٍ من المجتمعاتِ المسلمةِ . وعلينا أن نستعيدَها بأن نعرفَ المعروفَ والمنكرَ ، ونأمرَ بالمعروفِ وننهى عن المنكرِ ، ونقبلَ الأمرَ والنهيَ بصَدرٍ رَحِبٍ ، ونشكرَ مَن يأمرُنا ويَنهانا وندعو له بالخيرِ . فإذا فعلَ الفردُ المسلمُ هذا ، كان جديراً بأن يُحْسَبَ من :﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾(آل عمران: ١١٠) عَرَفتها البشريةُ . وهذا مَيْسورٌ لكلِّ فردٍ . وكثيرٌ من الأفرادِ يفعلُ ذلك ، وإن كانوا قِلَّةً في المجتمعِ الحديثِ ، لأنَّ المعرفةَ مَيسورةٌ في المساجدِ والإذاعاتِ والكتبِ والمجلاتِ والصحفِ .

---

(١) على الخطيب أن يذكر تاريخ بلاده ، أو يحذف هذه الفقرة التي بين القوسين .

٢- ومن مميزاتِ الشخصيةِ المسلمةِ : الوَسَطِيَّـةُ . ولكننا فهمناها خطأً . بمعنى المُنتَصَفِ ، أو «بَيْنَ بَيْنِ». وفي لغةِ القرآنِ الكريمِ الوَسَطُ هو الأفضلُ . وإذا قيلَ إن فلاناً من أوْسَطِ القوْمِ كان معنى ذلك أنه من أفضلِهم . وهذا واضحٌ في قولِ اللهِ تعالى ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ (القلم:٢٨) فواجبُ المسلمِ أن يَنشُدَ الأفضلَ بقدْرِ طاقتِه ، في العباداتِ والمُعاملاتِ . ومن المؤسفِ أن الرأيَ الشائعَ الآن بعيدٌ عن المَعنى السديدِ للوَسَطيةِ الإسلاميةِ . فعلى كلِّ واحدٍ منا أن يَبذُلَ أقصى جُهدِه في العملِ الصالحِ ، واللهُ تعالى يقولُ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (التغابن:١٦) فهـذه هـي الوَسَطيةُ الـتي ذكـرَهـا القـرآنُ الكـريـمُ فـي قـولِ اللهِ تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة:١٤٣) واللهُ تعالى أعْلمُ .

٣- ومن مُميزاتِ الأمةِ المسلمةِ أن لها قِبلةً خاصةً بها . وقد سُمِّيَ المسلمون : أهلَ القِبلةِ . وقد وقعَ الخِلافُ بين المسلمين في مسائلَ عديدةٍ ، لكنَّ الإجماعَ المُطلقَ ظلَّ سائداً منذ عصرِ النبيِّ ﷺ إلى اليومِ ، وسيظلُّ كذلك إن شاءَ اللهُ إلى يومِ القيامةِ ، على أن قبلةَ المسلمين هي : المسجدُ الحرامُ في مكةَ المكرمةِ ، حَفِظها اللهُ تعالى . وقد كانت أمنيةً للرسول ﷺ ، كما جاءَ في قوله تعالى ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (البقرة:١٤٤) ومن المؤسفِ أن بعضَ القوى المؤثرَةَ في الرأيِ العامِ تحاولُ إقناعَ المسلمين بالتقليلِ من الحَجِّ والعُمرةِ ، وتـزْيينِ السياحةِ إلى البلادِ غيرِ المسلمةِ .

٤- ومن مميزاتِ شخصيةِ المسلمِ أنه عربيُّ اللسانِ . واللغةُ العربيةُ هي لغةُ القرآنِ الكريمِ ولغةُ السُّنةِ المطهرةِ ، ولغة علومِ الإسلامِ وآدابهِ وفِكرِه وثـقافتِه وحضارتِه . وهذه الميزةُ الكبرى مُهدَّدةٌ بالاندثارِ في هذا العصرِ ، وإحلالُ اللغةِ الإنجليزيةِ مَحَلَها . بل إن الإحلالَ حدثَ فعلاً في تعليمِ الطبِ ، والتجارة . واللغةُ الإنجليزيةُ اليومَ تُـزاحِمُ العربيةَ في مناهجِ التعليمِ ، وفي الحياةِ العامةِ ، وقد صارَتْ

أسماءُ البضائعِ والسِّلعِ أجنبيةٌ بنسبةِ ٩٥٪ وأكثر . ونحن ندفعُ الكثيرَ من المالِ لتعليمِ أولادِنا الإنجليزيةَ ، ولا نهتمُّ بتعليمِ العـربيةِ ، وذلك لأغراضٍ دُنيويـةٍ معروفةٍ . ويستطيعُ الفردُ المسلمُ أن يفعلَ الكثيرَ ، فيُسمِّي أولادَه بأسماءٍ عربيةٍ . ويُسمِّي مَحَلَّه التجاريَّ باسْمٍ عربيٍّ . ويُسمِّي السلعةَ التي يصنعُها باسْـمٍ عـربيٍّ . ولا يتكلمُ لغةً أجنبيةً إلا للضرورةِ القصوَى . ولا يستعملُ ألفاظاً أجنبيةً . ويحرصُ على تعليمِ أولادِه العربيةَ .

٥- ومن معالمِ الشخصيةِ المسلمةِ طريقةُ الاحتفالِ بالأعيادِ والمناسباتِ . ففي العِيدَيْنِ نُـصلي الفجرَ ، ثم العِيدَ ، ثم نَـتزَاوَرُ ، ونتَـهادَى ، ونتصالـحُ ، ولا نشرَبُ أو نأكلُ المُحرَّماتِ ، بعكسِ ما يفعلُه الأجانبُ . واللهُ تعالى يقولُ ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ (النصر:١-٣) ففي مناسبةِ النصرِ والفتحِ وإقبالِ الناسِ على الإسلامِ ، وهي مناسبةٌ سعيدةٌ جداً ، يأمرُنا ربُّنا بالتسبيحِ بحمدِه ﷻ ، وطلبَ مَغفرتِه ، وحين دخلَ رسولُ اللهِ ﷺ مكةَ فاتحاً مُنتصراً ، سَجدَ للهِ تعالى وهو راكبٌ على راحلتِه ، فكان طَـرْفُ لِحيتِه يَمَسُّ الرَّحْـلَ ، تسبيحاً للهِ تعالى واعْترافاً بأن النصرَ من عِندِه تعالى ، فهو ﴿ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ ، وبقوةِ اللهِ وتوفيقِه . وعلينا أن نحافِظَ على هذه المَيزةِ لاحتفالاتِنا ، ولا نسمحُ بالعاداتِ الأجنبيةِ الذميمةِ بأن تحلَّ مَحلَّـها . وهذا في يدِ الفردِ المسلمِ وفي إمكانِ كلِّ واحدٍ منا إلى حَـدٍّ كبيرٍ .

٦- ومن مَيزاتِ الشخصيةِ المسلمةِ طِرازُ العِمارةِ التي يُفضلُـها . وهذه المَيزةُ اندَثرَتْ إلى حـدٍّ كبيرٍ جداً ، لتحلَّ مَحلَّـها الطُّـرُزُ الأمريكيةُ والأوربيةُ غيرُ المناسبةِ لبيئتِنا ومُناخِ بلادِنا الحارِّ . وكان البيتُ المسلمُ يَفصلُ بين غُـرفةِ استْقبالِ الضيوفِ وبقيةِ الغُـرَفِ ؛ والآن تُـفتَـحُ الغرفُ وتُـزالُ الجدرانُ ، لكي يرى الضيفُ كلَّ مَن في البيتِ من النساءِ والأطفالِ !

٧- ونحن نُقلِّدُ الأجانبَ في أزيائنا ، وخاصةً النساءُ ، فتكشفُ المرأةُ عن ساقَيها وصدْرها وذِراعيها ، وشعرِها . ونحمدُ الله تعالى أنَّ مَوْجةَ التقليد انْحسَرَتْ كثيراً ، وعادَت نِساؤنا إلى الحِشمةِ والسَّترِ والوقارِ . ويجبُ أن نتذكرَ أن لِبْسَ الذهبِ والحريرِ حرامٌ على الرجالِ . وأن تقليدَ النساءِ ضدَّ شخصيةِ المسلمِ المتميزةِ المشروعةِ .

٨- وبصفةٍ عامةٍ لا يجوزُ للمسلمِ تقليدُ الأجانبِ في أي شيءٍ من الأفكار والأعمالِ والعاداتِ السيئةِ . وأما إذا وجدَ المسلمُ شيئاً حسناً ، فالحكمةُ ضالَّةُ المؤمنِ ، أنَّا وجدَها فهو أحقُّ الناسِ بها .

(الدعاء)

كَسْبُ المَال وإنفاقِه

● **الغاية من الخطبة** : بيان الحلال والحرام في كسب المال وإنفاقه وحث المسلمين على تحري الحلال واجتناب الحرام .

● **العناصر الأساسية** :

(١) حب المال فطرة لدى الإنسان .

(٢) حفظ المال من المقاصد العليا للشريعة ، والزهد في المال الحرام فقط هو المشروع .

(٣) عقيدتنا المالية : المالُ مالُ اللهِ ، ونحن وكلاء فيه ، وماذا يترتب على هذه العقيدة .

(٤) العمل سبيل كسب المال الحلال ، ثم وراثة المال . وشرط الرضا في المعاملات المالية .

(٥) آفات كسب المال : الاغتصاب ، بالحيلة أو بالقوة ، الرشوة والغش ، والربا ، والظلم ، والقمار ، والاحتكار ، التسعير ، المصادرة والتأميم .

(٦) حق المالك في الدفاع عن ماله .

(٧) إنفاق المالك في الحلال فقط ودون تبذير ؛ فهو حر التصرف في ماله .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- يقولُ اللهُ تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ (آل عمران:١٤) واللهُ ﷻ هو الذي زَيَّنَ للناسِ حبَّ النساءِ في قلوبِ الرجالِ ، وحبَّ الرجالِ في قلوبِ النساءِ . وزَيَّنَ

للرجالِ والنساءِ حُبَّ الذهبِ والفِضةِ ، والمالِ بأشكالِه القديمةِ والحديثةِ ، من النَّقدِ والأوراقِ النقديةِ ، التي تقومُ مقامَ قيمة المالِ من عقاراتٍ وأراضٍ زراعيةٍ ، وذهبٍ وفِضةٍ . ولولا ذلك التَّزيين لما سَعى الإنسانُ إلى كسْبِ الأموالِ . وسِرُّ زينةِ المالِ أنه ضروريٌّ لحياةِ الإنسانِ . فالإنسانُ يحتاجُ إلى الطعامِ والشرابِ والمَسكنِ واللباسِ والأمنِ والعلاجِ . وإشباعُ هذه الحاجاتِ يتطلبُ امتلاكَ الغذاءِ والبيوتِ والملابسِ والأسلحةِ والأدويةِ . ويتطلبُ أيضاً تبادُلَ هذه الأشياءِ ، بمعنى أن يبيعَ إنسانٌ ما عنده من غِذاءٍ زائدٍ عن حاجتِه إلى إنسانٍ آخرَ مُحتاجٍ إليه ، مُقابلَ سِلعةٍ أخرى يحتاجُ إليها الأولُ . وهكذا نشأتِ التجارةُ والأسواقُ والبيعُ والشراءُ والإيجارُ . وتيسيراً لحياتِه جعلَ الإنسانُ الذهبَ والفِضةَ ثمناً للسِّلعِ والأراضي والعَقاراتِ . ثم اخترعَ الأوراقَ النقديةَ لمَزيدٍ من التيسير في نقلِ الممتلكاتِ بين الناسِ . وهذا كلُّه يؤدي إلى إعمارِ الكَوْنِ واستمرارِ الحياةِ كما أرادَ اللهُ تعالى ؛ وكذلك زَيَّنَ اللهُ النساءَ للرجالِ والرجالَ للنساءِ لكي يتناكَحوا ويتناسَلوا وتستمرَّ الحياةُ البشريةُ إلى أن يشاءَ اللهُ تعالى ، ثم تقومُ القيامةُ .

٢- وعلى هذا لم يكنْ حُبُّ المالِ إثماً أو حراماً . فهو فَطرةٌ فطرَ اللهُ الناسَ عليها لكي تستمرَّ حياتُهم الدنيا . وليسَ مَطلوباً بحالٍ من الأحوالِ نَزْعُ هذه الفِطرَةِ من طبيعةِ البَشرِ ، لأن ذلك غيرُ ممكنٍ ، ولكنَّ المطلوبَ هو تَهذيبُها فقط . فإنَّ كَسْبَ المالِ عملٌ مطلوبٌ ومشروعٌ طالما سارَ المسلمُ على قواعدِ الشريعةِ الغرَّاءِ في كَسْبِهِ وفي إنفاقِه . وفي الإسلامِ ، حفظُ المالِ من المَقاصِدِ العُليا للشريعةِ ، أيْ أنَّ صِيانةَ المالِ الحلالِ على مالِكِه غايةٌ كُبرَى للشريعةِ الإسلاميةِ . ولذلك وجدنَا عَشراتِ الأوامرِ والنواهي الخاصةِ بالمُعاملاتِ الماليةِ . وكسبُ المالِ وجَمعُه وتنميتُه ، ليسَ حراماً ولا عَيباً ولا نَقيصةً يَخجَلُ منها المَرْءُ المسلمُ ، طالما الْتَزَمَ أوامرَ دينِه في كلِّ ذلك . وكلُّ كلامٍ عن الزهدِ في المالِ يجبُ أن يُفهَمَ على أنه زُهدٌ في المالِ الحرامِ فقط . وقد كان رسولُ اللهِ ﷺ رجلاً تاجراً ، وكان أبو بكرٍ الصديقُ رجلاً تاجراً ؛ وكان عددٌ من كبارِ الصحابةِ تُجاراً ، حَازوا ثَرَواتٍ واسعةٍ

من المال ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان الخليفةُ الراشدُ الثالثُ . واللهُ تعالى يقولُ ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ (البقرة:٢٧٥) ولكنهم كانوا يُنفِقون الأموالَ الكثيرةَ في سبيلِ اللهِ ، وكانوا يُخرجون الزكاةَ ويتبرَّعون ويتصدَّقون إلى جانبِ الزكاةِ . كانوا يُؤثِرون الآخرةَ على الدنيا ، مُقتَدين برسولِ اللهِ ﷺ . وبأموالِهم هذه قامَ الإسلامُ ، وبها جُهِّزَت الجيوشُ التي جاهدَتْ في سبيلِ اللهِ . وهذا هو الزهدُ الإسلاميُّ الحقُّ ، الزهدُ في المالِ بعد أن نَملِكَه ونُدخِلَه في جيوبِنا ، لا الزهدُ في مالٍ لم نَملكْه ! أو بعبارةٍ أخرى ، هذا هو الزهدُ الإيجابيُّ الذي يتمثَّلُ في كرمِ العطاءِ والبَذلِ والتضحيةِ .

٣- ووراءَ الزهدِ الإسلاميِّ الإيجابيِّ عقيدةٌ إسلاميةٌ هي التي تجعلُ ممارستَه أمراً ممكناً في عالمِ الواقعِ . فالمسلمُ يؤمنُ بأنَّ المالكَ الحقَّ للمالِ هو اللهُ تعالى ، وأنَّ المسلمَ مجرَّدُ وكيلٍ للهِ في مالِه . ويترتبُ على هذه العقيدةِ واجبٌ على الوكيلِ أن يُطيعَ المالكَ في كلِّ تصرفاتِه الماليةِ ، فيُنفقَ كما أمرَه ، ويُمسِكَ عن الإنفاقِ كما أرادَ . وفي هذا يقولُ اللهُ تعالى ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ (الحديد:٧) وفي هذه الآيةِ الكريمةِ يظهرُ بوضوحٍ اسْتنادُ الأمرِ بالإنفاقِ على عقيدةِ الاستخلافِ في المالِ . فاللهُ تعالى يُذكِّرُنا بأنَّ المالَ مالُه ، وأننا مُسْتَخلَفون فيه ، فكيف نَعصَى أمرَهُ في مالِه؟! ويقولُ ﷻ في آيةٍ أخرى ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ (النور:٣٣) فيظهرُ ـ مرةً أخرى ـ استنادُ الأمْرِ بالإنفاقِ على الإيمانِ بأن اللهَ هو الذي آتاه لعبادِه ، وأنه هو مالِكُه لا شَريكَ له فيه .

٤- وكَسبُ المالِ في الإسلامِ يتمُّ عن طريقِ العملِ ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (النجم:٣٩) فالذي يزرعُ ، له أن يَحصِدَ ، وليس لغيرِه أن يُشارِكَه في حَصَادِه إلاّ بإرادتِه ورضَاه . فالإسلامُ يُحرِّمُ كلَّ أشكالِ الاغتصابِ ، سواءٌ كان بالمَكرِ والخِداعِ والحيلةِ أو بالقوةِ الجبريةِ ، فيقولُ ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ (النساء:٢٩) فالتراضي ، أو الإرادةُ الحرةُ ، هو الشَرطُ الأوليُّ الضروريُّ لمشروعيةِ انتقالِ الأموالِ بين أيدي الناسِ . وإذا ماتَ المالكُ وَرِثَه أهلُه ، وبذلك تكونُ

الوراثةُ هي الطريقَ الثاني لكَسْبِ المالِ ، الذي يكونُ في الأصلِ قد تمَّ كَسْبه بالعملِ .

٥- وفي الشريعةِ الإسلاميةِ تفاصيلُ واسعةٌ جداً لآفاتِ كسبِ المالِ الحرامِ ، والعقوباتُ الشرعيةُ لفاعِليها . من ذلك قولُه تعالى ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة:٣٨) وهي عقوبةٌ شديدةٌ لأنَّ المالَ قوامُ الحياةِ ، ولا بُدَّ من صِيانتِه . ثم إنَّ اللصَّ يُروِّعُ المجتمعَ ويُبدِّدُ الأمنَ ، وهو قيمةٌ أخرى عُليا ، وكثيراً ما يقتلُ اللصُّ صاحِبَ المالِ . والحياةُ قيمةٌ عُليا ثالثةٌ يُهدِرُها اللصُّ . ومن ذلك قولُه تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ (البقرة:٢٧٥) وهناك عقوبةٌ دُنيوية ، يُطبِّقُها الحاكمُ المسلمُ على المُرابين ، وهي ليستْ مُحدَّدةً ، فيجوزُ أن تكون ماليةٌ أو بدنيةٌ ، أو ماليةٌ وبدنيةٌ معاً ، لأنَّ الربا ظلمٌ ماليٌّ ، واللهُ تعالى لا يقبلُ الظلمَ بحالٍ من الأحوالِ . وكلُّ شيءٍ أُخِذَ غَصْباً يَحْرُمُ الانتفاعُ به . مثالُ ذلك إذا اغتصَبَ رجلٌ مِساحةً من الأرضِ وبنى فيها بَيتاً ، فإنَّ صَلاتَه في هذا البيتِ لا تُجْزئُ ، ولا بدَّ من إعادتِها . ولا تصحُّ الصلاةُ في مسجدٍ مُغتَصَبٍ أو على فِراشٍ مُغتصَبٍ ، ولا الحجُّ في سفينةٍ مُغتصَبةٍ . والذبحُ بسكينٍ مَسروقةٍ لا يُذكِّي ولا يجوزُ أكلُ لحمِ الذبيحةِ ، لأنَّ حُكمَها عندئذٍ أنها مَيْتَة .

- والتأميمُ والمُصادرةُ ونَزعُ المِلكياتِ ـ إلاَّ لحاجةٍ عامةٍ ، مع التعويضِ العادلِ ـ كلُّها يُعَدُّ اغتِصاباً مُحرَّماً . والرِّشوَةُ والغِشُّ والتطفيفُ في الموازينِ ، والاحتكاراتُ ، كلُّها حِيَلٌ مُحرَّمةٌ واغتصابٌ للمالِ بالمَكرِ والخِداعِ .

٦- ويُعطي الإسلامُ المالِكَ حقَّ الدفاعِ عن مالِه ، ولوْ أدّى إلى قتْلِ اللصِّ . فقد قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «مَن قُتِلَ دونَ مالِه فهو شَهيدٌ .» فصاحِبُ المالِ له الحقُّ في الدفاعِ عن مالِه ، وإذا اضطُرَّ إلى قَتلِ اللصِّ المُهاجمِ فلا إثمَ عليه . وإذا قتلَه

اللصُّ فهو شهيدٌ ، كما جاءَ في الحديثِ الشريفِ . وهذا يوضِّحُ حُرْمَةَ المالِ الحلالِ في حُكمِ الإسلامِ .

٧- وللمالك حُريةُ التصرُّف في ماله ، يستهلِكُه ، دون تبذيرٍ أو إسرافٍ . ويُهدِي منه ، ويتبَرَّعُ به ، ويُبادلُه ، ويَهبُه لِمَنْ يشاءُ . ولكنَّ حريةَ المالكِ لها حُدودُها ، فهو ممنوع من استعمالِ ماله في الحرامِ ، أو الظلمِ أو الإضرارِ بالآخرين . وتُجيزُ الشريعةُ الحَجْرَ على الطفلِ الصغيرِ ، وعلى المجنونِ والسَّفيهِ والمُبذِّرِ والمُفلِسِ . نسألُ اللهَ تعالى أن يُوفقَنا إلى كسبِ المالِ بالحلالِ وإنفاقِه في الحلالِ ، وأن يُباعِدَ بيننا وبين الحرامِ ، إنه سميعٌ مُجيبٌ .

(الدعاء)

مقام الشهداء

● **الغاية من الخطبة :** الحَـثُّ على الجهادِ في سبيلِ اللهِ بالمالِ والنفسِ .

● **العناصر الأساسية :**

(١) وعْدُ اللهِ تعالى للمقاتلين في سبيله : الجنةُ والحياةُ عند ربّهم يُرزقون .

(٢) المسلمون يقاتلون ويستشهدون لرد العدوان ، لا للاعتداء على الآخرين .

(٣) المسالمون والمعاهدون .

(٤) ناكثو العهد .

(٥) الشهادة ليست تَهْـلُكة ، والفدائيون ليسوا انتحاريين .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- لا يَكُـفُّ أعداءُ الإسلام عن مُهاجَمةِ المسلمين في أيّ وقت ، منذُ ظُـهورِ الإسلامِ إلى اليومِ . والمسلمون لا يعْتدون على أحدٍ ، لأنَّ اللهَ حَرّمَ عليهم العدوانَ ، وقال ﷻ : ﴿ **وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ** ﴾(البقرة: ١٩٠). فقاتَل المسلمون في عهدِ النبيّ ﷺ المشركينَ العربَ . وقاتَلوا الرُومَ ، والفُرْسَ . وفي عهدِ الراشدين استَمرّت الاعتدَاءاتُ على المسلمين ، وكان على المسلمين أن يَرُدّوها بطبيعةِ الحالِ عن أنْفُسِهم .

- وفي العصورِ الحديثةِ اعْتَدَتْ على بلادِ المسلمين جيوشُ فرنسا وإنجلترا ، ورُوسيا وهولندا والبُرتغال وإيطاليا واليونان وأمريكا التي زَرَعَتْ إسرائيلَ في قلب العالمِ العربيّ ليظلَّ جرحًا نازفاً على الدوامِ في حُروب لا تكادُ تتوقفُ حتى تشتعل من جديد . وكذلك اعتدتْ جيوشُ الهند والصين واليابان على المسلمين في قارّةِ

آسيا . ولا تزالُ الهندُ تحتلُّ بلادَ كشمير وجامو ، والصينُ تحتلُّ تركِسْتان الشرقية (وتُسمّيها إقليم شِنْجيانْج) وتقتُلُ كلَّ مَن يُطالب بالاستقلالِ دون رحمةٍ .

- ونحن نَشْهدُ اليومَ كيفَ تفتكُ إسرائيلُ بالمسلمين الفلسطينيين بالدباباتِ ، والطائراتِ والمِدفعيةِ والصواريخِ ، لا لشيْءٍ سوى مُطَالبتهم بتنفيذ قراراتِ الأممِ المتحدةِ التي تنـصُّ على انسحاب إسرائيل من غزة والضِّـفةِ الغربيةِ . وقد بلغَ عددُ شهداءِ انتفاضةِ الأقْصَى ٤٠٠ شهيد ، وهو يَزْدادُ كـلَّ يومٍ عَدداً . والهندُ تَشُـنُّ حرباً إجراميةً وَحْشيةً على المسلمين في كَشْمير وجامو . والصينُ تقتلُ المطالبين بالاستقلال لتركِسْتان الشرقية المسلمة . وعدوانُ إسرائيلَ على لبنانٍ سنة ٢٠٠٦م شكل سلسلةَ جرائمِ حربٍ!

- وفي كلِّ الأوقاتِ وَاجَهَ المسلمون تلك الاعتداءاتِ بقوافلَ من الشهداءِ الذين جاهدوا بأمْوالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وانتصروا بعون اللهِ تعالى ونُـصْرتهِ . وقد وَعَدَ اللهُ الشهداءَ بالجنةِ ، وبالحياةِ عند ربهم ، فقال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:١١١)فهؤلاء هم الشُراةُ الذين قال فيهم ربنا ﷻ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾(البقرة:٢٠٧). وهم يُقتلون أحياناً ؛ ولكنهم لا يموتون كما يمـوتُ البَشرُ . والآيـة التي تقـرر هـذه الحقيقـة تـقـول : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران:١٦٩)وتقول آية أخرى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ (الحديد:١٩) والعدو يُسميهم «الإرهابيين» ، ولكنهم «الشهداء»، و«الشُراةُ» في لغة القرآن الكريم وفي لغة المسلمين . ويُسمّيهم بعضُ الناسِ «الانتحاريين»! وذلك خطأٌ مُشينٌ خصوصاً

إذا قاله مُسلمٌ . فهُمْ لا ينتحرون يأساً من صعوبات الحياة ، ولكنهم يُضحّون بأرواحِهم في سبيل دينهم ووطنِهم وشعبِهم ، وشتّان بيْن هذا وذاك ! إنهم فِدائيون شجعانٌ نعتزُّ بهم ونحترمُهم ونَسْعى إلى تكثير أعْدادِهم بين شبابِنا . والأعْداءُ يخشونهم ويحسِبون لهم ألفَ حِساب .

٢- والمسلمون لا يعتدون على الآخرين من المُسالمين والمُعاهدين من أهالي البلادِ المُجاورةِ . والله تعالى يَنْهانا عن العُدوانِ ، ويأمُرُنا بأن نقاتلَ الذين يقاتلوننا فيقولُ الحقُّ تبارك وتعالى : ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة:١٩٠). ونحن لم نعتدْ على فرنسا أو إنجلترا أو إيطاليا أو اليهود . هم الذين جاءُوا إلى بلادنا للغزو والحرب والسّلب والنهْب . والقرآنُ الكريم يأمُرُنا بمواجَهَةِ العدوان بمثلهِ فيقولُ ربُّ العِزّةِ : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة:١٩٤) ويقول : ﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ (البقرة:١٩١).

٣- أما المُسالِمون والمُعاهِدون من الأمم المُجاورة لبلاد المسلمين فلا يجوز قتالُهم ؛ وإذا قُتل شخص في الاعتداءِ على المُسالمين والمُعاهدين فهو ليس بشهيد ، لأنه لم يَتَقيّدْ بشريعة القرآن الأساسية . إنه مُعتَد . والمعْتدى ـ إذا قُتل ـ لا يُعَدُّ شهيداً . واللهُ تعالى يقول : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (المتحنة:٨) وهكذا يسمحُ الإسلام لنا أن نَبَرَّ اليهود والنصارى الذين يُسالموننا ، والبِرُّعطاءٌ بلا مقابلٍ ؛ ولذلك كان أعلى درجةً من القسط أو العدل الذي هو أخذٌ وعطاءٌ . أمّا المعتدون من أمثال الصهاينة الذين أخرجونا من دِيارِنا في فلسطين وقَتَلوا الآلاف مِنْ أبناء أمتنا المسلمة فليس لهم إلاّ المُعاملة بالمثل ، فعلينا أن نُجاهِدَهم ؛ وقَتْلانا شهداءٌ ؛ والذين يُفجّرون أنفسهم بالسياراتِ المفخخةِ فِدائيون شُهداءٌ ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران:١٦٩) لأن هذه هي اللغة الوحيدة التي

يَفهمُها الصهاينةُ . وإذا أخرَجَنا الأعداءُ من دِيارنا لم يَجُزْ لنا أن نتولاهم ، يعنى نُحالفُهم أو نُعاهِدَهم إلا بعد أن يخرجوا من دِيارنا . وفي هذا يقول الحقُّ تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

(الممتحنة:٩)

٤- وقتالُ نَاكِثى العُهُودِ واجبٌ . وقَتْلانا في حَربهم شُهداءُ أبرارٌ ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران:١٦٩) والله تعالى يقولُ : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ (التوبة:١٢) فلا معنى للتمسُّك بالعهدِ إذا نَقَضَهُ الطرفُ الآخرُ . العهدُ ينتهي بمجرد نكثه من طرفٍ . فإذا طعنُوا في الإسلام وجب قتالهم . وسلاحُنا دائماً هو الشهداءُ ، الفِدائيون ، الشُراةُ ، الذين شَرَوْا أنفسهم لله تعالى . وحتى الآن ، بعد تطوّر الأسلحةِ الحربية ، لا يزال الشهداء هم سلاح المسلمين القوى الفعّال . فعدونا يكرهُ الموت ، لأنه لا يؤمن بالبعث والحساب والجنة والنار . ونحن نُحبُّ الشهادة لأننا على يقين من الجزاء العظيم الذي وَعَدَ اللهُ به الشهداءَ : فهم لا يموتون وإنما هم ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران:١٦٩) إنهم يُغادرون الدنيا لكي يلتحقوا فوراً بتلك المَعِيَّةِ الربانيةِ ، ولكي يُبْعثوا في تلك الحياة السامية الشريفة .

٥- والشهادة ـ على هذا ـ حياةٌ جديدةٌ عند اللهِ تعالى ، وليست تَهْلُكةً كما زعم بعضُ كُتّابنا العِلمانيين . لقد ظن البعضُ أن الشهيد الذي يُفجّرُ نفسهُ ضد الأعداء إنما يُلْقى بنفسه إلى التهْلُكة ، وردَّدوا قول الله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة:١٩٥)

والآية الكريمة تقولُ غير ما ظنوا . إنها تُحذِّرُ المسلمين من البُخل في الإنفاق في سبيل الله ، لأن ذلك يُفضى بهم إلى الهزيمة أمام الأعداء . ولقد عرّضَ « البَراءَ ابن مالكِ » ﷺ نفسه للهلاك في المعركة المُسمّاةِ « يوم الحديقة » في بلاد نَجْدٍ ،

حين اعتصم المشركون في حديقةٍ ، فتَسلّقَ البراءُ سُورها ليفتح بابها للمسلمين دون خوفٍ من سِهام المشركين ونبالهم . وفي غزوِ القُسْطنطينية عاصمة بلاد الرومان ، ألقى بطلٌ مسلمٌ بنفسه وسط الأعداء ، وهو يقولُ : «لا ضَيْر أن أُقتلَ ويُفْتَح للمسلمين .» وكان «أبو أيوب الأنصارى» ﷺ في تلك الغزوة ؛ ويُؤثر عنه أنه رأى صواب عمل ذلك الشهيد ، ونفى أن يكون قد ألقى بنفسه إلى التهْلُكة كما ظن البعضُ .

- هذا هو مقام الشهيد وهذه هي مَكَانَةُ الشهداء . وعلينا أن نُربي أجيالاً من الشهداء ليدفعوا شرور الأعداء عن بلادنا المسلمةِ وعن أمتنا وديننا الحنيف .

(الدعاء)

الخبائثُ المُحَرَّمَةُ

● **الغاية من الخطبة** : نهيُ المسلمين عن شُرب الخبائثِ وأكْلِها ، كالمخدرات والدخان .

● **العناصر الأساسية** :

(١) نَهيُ القرآن الكريم عن الخبائثِ وإباحة الطيبات .

(٢) حُرْمةُ النفس البشرية وقيمتها الكبرى ، والنهي عن قتلِها أو إيذائها .

(٣) إباحة أكل الخبائثِ في حالة الضرورة إنقاذاً للنفس من الهلاك .

(٤) الرُّخَصُ لصَوْنِ الصحة واجتنابِ الأخطار على نفس الإنسان وبَدَنه .

(٥) الأمرُ بالتداوي للمرضى .

(٦) الرياضة البدنية لتقوية بَدَن الإنسان وشَغلِه عن الخبائث .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف:١٥٧) هذه بعض الغاياتِ الكبرى لرسالةِ محمدٍ ﷺ . ونحن اليومَ نتكلمُ عن واحدةٍ منها ، ألا وهي : تحريمُ الخَبائثِ ؛ والخَبائثُ هي المأكولاتُ والمشروباتُ الضارةُ بالإنسانِ ، المؤذيةُ له في بدَنِه أو في رُوحِه . ولذلك حرَّمَها اللهُ تعالى ، العليمُ الحكيمُ ، الذي لا يريدُ الضررَ والأذى لخَلْقِه ، والذي أحَلَّ

لهم الطيباتِ لتُغنيَهم عن الخبائثِ . ونحن نتكلمُ في هذا الموضوعِ لأننا لاحظنا أن كثيراً من المسلمين قد أقبلوا على شُرْبِ الخبائثِ وأكلِها دون إحساسٍ بالجُرْمِ أو تقديرٍ للعواقبِ الدنيويةِ في الصحةِ والمالِ ، والأُخرَويَّةِ في غضبِ اللهِ تعالى عليهم وفي العذابِ الذي ينتظرُ العُصاةَ في نارِ جهنمَ . والمسلمُ الذي يتعاطى الخبائثَ يُهلكُ جسدَه وعقلَه ورُوحَه حتى يصبحَ كارثةً لأولادِه وإخوانِه وأهلِه ووطنِه . فهو لا يؤذي نفسَه فقط ، بل يُلحِقَ الأضرارَ الجسيمةَ بكلِّ مَن حَوْلَه . فالمرأةُ التي تُدخِّنُ تؤذي الجنينَ الذي في بطنِها إن كانت حاملاً . والأبُ المُدخِّنُ يؤذي كلَّ مَن يُشاركُه السَّكنَ في شقةٍ أو غرفةٍ أو مكتبٍ أو بيتٍ . وأما مُدمنُ المخدراتِ فهو يُدمِّرُ نفسَه ، ويُدمرُ أهلَه ، ويَستَنزفُ أموالَهم ، وغالباً ما يبيعُ كلَّ ما يملكُ للحُصولِ على الخبائثِ . فمِن رحمةِ اللهِ تعالى أن حرَّمَها على المسلمين ، وسمَّاها هذا الاسمَ البغيضَ ، الذي ينطوي على كلِّ المعاني السيئةِ ، مِن القذارَةِ والأذى والسُّوءِ والنجاسَةِ . وعلينا نحن المسلمين أن نستجيبَ لأمرِ اللهِ تعالى ونَهيِه ، فنتناولُ الطيباتِ ، ونجتنبُ الخبائثَ لكي نحيا حياةً صحيةً سليمةً ، سعيدةً ، ونفوزُ بمرضاةِ اللهِ تعالى وثوابِه .

٢- وتَحْريمُ الخَبَائِثِ سَبَبُه أنّها ضارّةٌ بالإنسان . والإنسانُ له في الإسلام قيمتُه الكُبْرى . فكُلُّ مَخلُوقٍ بشريٍّ فيه نَفْخَةٌ من روحِ الله تعالى هي التي تُمَيِّزُه على سائرِ الكائناتِ . والله تعالى يقول ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (الحجر:٢٨-٣٠) وهذا السجودُ سجودُ احترامٍ وتقديرٍ ، لا سجودُ عِبادةٍ ، لأنَّ العبادَةَ لا تصحُّ إلا للهِ وحدَه . لكنَّ البشرَ أنفُسَهم ، في عصرنا هذا ، وفي بلدِنا هذا ، وفي غيره ، نَسُوا هذه القيمةَ وذلك التقديرَ وانهمكوا في شُربِ الخبائثِ وأكلِها بشراهةٍ فظيعةٍ ! هل يُصدِّقُ عقلٌ

أو عاقلٌ أن الشعبَ المصريَّ يُدخِّنُ كلَّ يومٍ ما قيمتُـه اثنان وعشرون مليون جنيه؟! (وهذا تقرير رسمي صدرَ سنة ١٤١٣ هـ- ١٩٩٢م) ومن المؤكد أن الاستهلاكَ قد زادَ ، فكلُّ الظواهرِ تشيرُ إلى ذلك . فهل المُدمنُ يشعرُ حقاً بأنَّ حياتَه لها قيمةٌ ، وأنَّ بدَنه وعقلَه ونفسَه لها قيمةٌ ؟ وهل يُدركُ الأذى الفظيعَ الذي يُلحِقُـه بأهلِه وأولادِه؟ إنه لو أدرَكَ ذلك لكفَّ عن الخبائثِ كلِّها . إنه يقتلُـهم قتلاً بطيئاً ، ولكنه قتلٌ مؤكدٌ طبياً وعلمياً . واللهُ تعالى يقولُ ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ (النساء:٢٩) والرسولُ ﷺ يقولُ «مَن قتلَ نفسَه بحَديدَةٍ ـ يعني انتحاراً ـ فحديدَتُـه في يدِه يَتوَجَّـأُ بها في بطنِه ـ يعني يَطعَنُ بها بطنَـه ـ في نارِ جهنم .» فالتدخينُ والمخدراتُ ثبتَ علمياً أنها تفتِـكُ بصحةِ الإنسانِ البدنيةِ والنفسيةِ ؛ فتعاطيها انتحارٌ بطيءٌ ، ومُكلِّـفٌ جداً للفرْدِ والأسرَةِ والمجتمعِ ، مما يجعلُـه أشدَّ إثماً من الانتحارِ بحَرْبَةٍ أو سَيفٍ أو مُسدسٍ . والإسلامُ يُحرِّمُ كلَّ ضَررٍ وكلَّ أذًى بالإنسانِ . فعلينا أن نكونَ على يقينٍ من أن التدخينَ حرامٌ ، حرامٌ ، حرامٌ ، وليسَ مُجرَّدَ مَكروهٍ كما كان يُقالُ قبلَ مَعرفةِ أضرارِه الفظيعةِ المُهلِكةِ . وكذلك المخدراتُ بكلِّ أنواعِها . وأما الخمورُ فحُكمُها منصوصٌ عليه في القرآنِ الكريمِ ، وهي أمُّ الخبائثِ كما وصفها رسولُـنا الكريمُ ﷺ .

٣- ولكي نعلمَ القيمةَ الكبرى للإنسانِ في حكمِ الإسلامِ ، علينا أن نتذكَّرَ أنَّ اللهَ تعالى أباحَ أكلَ الخبائثِ لإنقاذِ الإنسانِ من الهلاكِ . فبعدَ أنْ عَدَّدَ القرآنُ الكريمُ الأشياءَ المُحرَّمةَ قالَ ﴿ **فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (المائدة:٣) فإذا تعرَّضَ الإنسانُ للجوعِ الشديدِ ، وأشرَفَ على الموتِ إن لم يأكلْ ، ولم يجدْ سِوى لحمَ خِنزيرٍ ـ مثلاً ـ جازَ له أن يأكلَ منه لإبقاءِ حياتِه . فالإسلامُ حريصٌ جداً على حياةِ الإنسانِ ، لكنَّ الإنسانَ ليس حريصاً على حياةِ نفسِه !

٤- ويُرخِّصُ الإسلامُ لنا أن نُفطِرَ في شهرِ رمضانَ المعظمِ إذا كنا مَرضى أو على سَفرٍ ، على أن نَقضي في أيامٍ أُخَرٍ . فيقولُ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة:١٨٣،١٨٤) والحكمةُ من وراءِ هذه الرخصةِ هي الحفاظُ على سلامةِ الإنسانِ . فالمسافرُ يُعاني المَشقّاتِ ؛ والمريضُ يحتاجُ إلى الدواءِ والراحةِ ، فأُعطِيَتْ لهم الرخصةُ . وفي الجهادِ يُرخِّصُ لكلِّ صاحبِ عُذرٍ أنْ يتخلّفَ عن الجهادِ . وقد حددَ القرآنُ الكريمُ هذه الأعذارَ ، وحددَ النبيُّ ﷺ بعضَها . قالَ تعالى ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة:٩١) وفي الحجِّ رخّصَ الإسلامُ للحاجِّ أن يتحلّلَ من بعضِ مَحظوراتِ الإحرامِ بسببِ المرضِ أو غيرِهِ ، فقالَ تعالى ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾

(البقرة:١٩٦)

- فكيف ننسى نحن المسلمين حِرْصَ الإسلامِ على سلامتِنا وصحتِنا ، ونتورَّطَ في أكلِ الخبائثِ أو شُربِها ونُعرِّضُ أنفسَنا للمرضِ والأذى والضعفِ؟ وإذا تورَّطَ غيرُ المسلمين في شُربِ الخبائثِ وأكلِها ، فهل يجوزُ لنا نحن المسلمين الذين يعرفون القرآنَ الكريمَ ويعرفون سُنةَ نبيِّهم الكريمِ ، ويعرفون تحريمَ الخبائثِ ، هل يجوزُ لنا أن نكون مِثلَهم؟! أليسَتْ هذه كارثةٌ كُبرَى؟

٥- والرسولُ ﷺ يأمرُنا بالتداوي ، ويقولُ : « يا أيها الناسُ ، تَداوَوْا . ما أنزلَ اللهُ داءً إلاَّ أنزلَ لهُ شِفاءً . » فلماذا لا نُداوي أنفسَنا من مَرضِ الإدمانِ ، وهو أخطرُ

من جميعِ الأمراضِ؟ والوقايةُ من الخبائثِ أهمُّ من التداوي ، فلماذا نُفرِّطُ في الوقايةِ ونتركُ أولادَنا للتدخينِ ، ومن بعدِه إدمانُ المخدراتِ؟! إنَّ الصَّلاحَ لا يعني الصلاةَ والصيامَ والحجَّ فقط ، ولكنه يعني أشياءً كثيرةً ، من أهمِّها وقايةُ أنفسِنا وأولادِنا من التدخينِ والمخدراتِ والخمورِ ، وكافَّةِ الخبائثِ المنتشرةِ هذه الأيامِ .

٦- ومن أهمِّ أسبابِ الوقايةِ شَغلُ أوقاتِ الفراغِ ، وممارسةُ الرياضةِ البدنيةِ والأعمالِ النافعةِ المفيدةِ مثل إصلاحِ الأدواتِ المنزليةِ - بعد التدريبِ طبعاً ! - وحفظُ القرآنِ الكريمِ . وبالنسبةِ للطلابِ في العُطلةِ الصيفيةِ يجبُ أن نُهيئَ لهم الظروفَ لِشَغلِ أوقاتِ فراغِهم في أعمالٍ مفيدةٍ ، وبذلك نَقيهِم شرورَ الخبائثِ المُهلكةِ التي صارَت تُعرَضُ في كلِّ مكانٍ ، وبعضُها رخيصٌ بحيثُ يستطيعُ التلميذُ أن يشتري كميةً منه .

- أيها المسلمون ، لا تستهينوا بهذه المسائلِ ، وتيَقَّظوا جيداً لتربيةِ أولادِكم ولا تتركوهم ضَحيةً لتُجارِ الخبائثِ المجرمين ، واللهَ نسألُ أن يُعيننا ويوفقَنا إنه سميعٌ مُجيبٌ .

(الدعاء)